محبوب
الإصدار الثامن والعشرون

فصولٌ من الذاكرة العُمانية
(3)

ما أقرَبَكُم ممن أرادَكُم

الطواعين في الذاكرة العُمانية

بقلم
سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني

سلسلة: فصولٌ من الذاكرة العمانية
الحلقة الثالثة
ما أقربكم ممن أرادكم!
(الطواعين في الذاكرة العُمانية)

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الرقمية الأولى
رجب 1443هـ/ فبراير (شباط) 2022م

محبوب للنشـــــر الرقمي
مسقط/ سلطـــنة عُمان
البريـــد الإلكـــتروني:
mahboub.pd@gmail.com

ما أقرَبَكُم ممن أرادَكُم

الطواعين في الذاكرة العُمانية

فهرس المحتويات

مقدمة 5

الفصل الأول: مهاد تاريخي 11

- تمهيد 12
- تعريف الطاعون وأسبابه 14
- الفرق بين الطاعون والوباء 15
- أعراض الطاعون 16
- الأحاديث النبوية في الطاعون 17
- أول طاعون في زمن البعثة النبوية 19
- الطواعين في التاريخ الإسلامي 22
- الأوبئة العالمية 25
- مؤلفات المسلمين في الطاعون 26

الفصل الثاني: الطواعين في الذاكرة العمانية 32

- آثار العُمانيين المدوّنة عن الطاعون 33
- خلاصة مدونات العمانيين عن الطواعين 35

1) موجة الوباء العالمي الأول في الذاكرة العمانية 38

2) موجة الوباء العالمي الثاني في الذاكرة العمانية 43

3) موجة الوباء العالمي الثالث في الذاكرة العمانية 48

4) موجة الوباء العالمي الرابع في الذاكرة العمانية 49

- العلامة أبو نبهان والوباء 49
- العلامة ابن أبي نبهان وتشخيص الطاعون 53
- الطاعون في كتابات ابن رُزَيق 56
- شهادة حية من قلب الحدث 58
- تقييدات متفرقة عن طاعون عام 1236هـ 69

- موجة الطاعون أواخر القرن الثالث عشر 73
- الطاعون بعيون الشعراء العمانيين 76
- طاعون زنجبار 77
- طاعون 1317هبعمان 78
- الحجة الواضحة في رد التلفيقات الفاضحة 86
- الرحلات الحجازية والأوبئة 91
- الوباء بين التفشي والانحسار 93
- أزمة الأعلام الفرنسية والطاعون 96
- بهلا والطاعون 97
- طاعون عام 1337هـ 98
- إجراءات طبية وقائية وعلاجية 105

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعدُ؛ فإنَّ مِنَ الشعر الغابر الجاري مجرى الحاضر قولَ الشاعر[1]:

تَعِيثُ قُرودُ الحِبْتِ في سُنَّةِ الهُدى ... إذا عقدوا شَنْعاءَ جاءتْ شنائِعُ

يَعُدُّونَ دِينَ اللهِ بُهْتًا وهُجْنَةً ... وأنْ ليس من صَوبِ الإلَهِ شرائعُ

وأنّ وُقوعَ الدِّينِ في الأرضِ مُفْسِدٌ ... وأن قوانينَ السماءِ فظائعُ

وأن الذي جاءت به الرُّسْلُ كُلّهُ ... مُضِرٌّ لأسبابِ الرُّقِيِّ مُصارِعُ

وأن هُدَى الإسلامِ في الأرضِ ظُلمَةٌ ... ولو زالَ بانتْ للرُّقِيِّ سَواطِعُ

وأنّ بني الإسلامِ في هَمَجِيَّةٍ ... وُحُوشٌ تَعَادَى في الفَلا أو صَفَادِعُ

وأن بني الإنسانِ في الأرضِ طائِرٌ ... على شَرَكٍ عِزُّ الجَناحَيْنِ واقِعُ

ولولا عُرَى أشراكِهِ لَتَوَسَّعَتْ ... مَدارِكُهُمْ حيثُ الحُدودُ المَوانِعُ

هَلُمَّ بِنا نَقْطَعْ حِبَالَةَ دِينِنا ... إذِ الدِّينُ عن نُورِ التَّمَدُّنِ قاطِعُ

ونُرسِل أَطْيارَ النُّفُوسِ إلى الهوى ... فإن هواها للسعادةِ جامِعُ

ونَذْرُو وَصَايا اللهِ في الرِّيحِ تُرْبَةً ... فليسَ بها - أستغفرُ اللهَ - نافِعُ

وفي دَوْلَةِ التَّعطِيلِ مَرْعىً ونَضْرَةٌ ... وفي دولةِ الدِّينِ الدِّيَارُ البَلاقِعُ

ولا كَوْنَ إلَّا للطَّبِيعَةِ إنَّها ... لها الضُّرُّ في أَكْوانِها والمَنافِعُ

---

[1] **شرح الموسوعة الشعرية لأبي مسلم البهلاني**؛ تحقيق وشرح: راشد بن علي الدغيشي. ط1: 1436هـ/ 2015م. مكتبة الضامري للنشر والتوزيع- السيب/ سلطنة عُمان. 1/ 597.

أستحضر هذه الأبيات التي قالها الشاعر الكبير أبو مسلم البَهْلاني (ت1339هـ) رحمه الله قبل أكثر من قرن من الآن؛ بين يدي هذه الدراسة عن (**الطواعين في الذاكرة العمانية**)، وكأنّ التاريخ يعيد نفسه في نظرة الناس للأحداث وتفسيرهم لها.

العالَمُ الغربي موغلٌ في ماديته، لا تكاد فيه الروح البشرية تتنفس، وبقدر ما خطا خطوات نحو التقدم التقني؛ انسلخ مراحل من الارتباط الديني، فلم يَعُد الدين شيئا مذكورا في حياتهم، وما صارت الكنيسة سوى جزء أسود من تاريخهم، وليتهم إذ عَطَّلوا الدين – كما قال أبو مسلم – سايروا الأنظمة الحضارية البراقة التي يتشدقون بها، وأنى لهم ذلك وهم ينظرون بنصفِ عَيْنٍ إلى مَن عَداهم، ويعدُّون كلَّ مُصلح في وطنه مِنْ أشد عِداهم!

والعجيب أن جينات الغرب البهيمية ظلت عَصِيَّةً على الزوال طوال قرون متلاحقة إلى يومنا هذا، فعندما تقرأ – مثلا – تاريخ مدينة بومبي الإيطالية، ترى تقدما معماريا لافتًا للنظر، وابتكارات تقنية سبقت زمانها، وتشدُّك في الآن نفسه طبقيّةٌ اجتماعية نتنة، وتوظيف دنيءٌ للدين وتعاليمه، وحياةٌ مغرقة في اللهو واللعب والدعارة تشمئز الأسماع من ذكرها، ويدور التاريخ دورات طويلة فلا ترى اليوم إلا قوانين تُشَرّع سلوك المثليين، وتنظّم الدعارة والفحش والمتاجرة بالأعراض، وتجرّم أي مظهر من مظاهر العفة والشرف.

وفي المقابل؛ عالَمٌ شرقي غارق في شؤونه الداخلية، تائهٌ في خلافاته الجانبية، اتخذ إرثه الحضاري الزاخر وراءَه ظِهْرِيّا، وراح يُلملم من فتات الغرب ما يقتات به، ويلعق من كؤوسهم ثمالتها. أو هكذا هي الصورة القاتمة التي يُراد لها أن تظهر في الإعلام. أقول ذلك لأن إعلامنا العربي في مجمله – للأسف – لا يوجّه عدسته إلا نحو النخبة (التافهة) ومَنْ لَفَّ لفَّها، وهذه الشريحة هي أجدر من يرسم تلك الصورة الآنفة الذكر.

وفي الشعوب المسلمة بقية معتبرة من أناس أولي بأس شديد، عرفوا للدين حقه، وأنزلوا العلم منزلته. والدّينُ وضعٌ إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ما هو خيرٌ لهم بالذات، والعِلْمُ خير معين للرسوخ في الدين، وليس بين الدين والعلم نشاز ولا تنافر.

ومِنْ سُخف أهل العصر أنك تراهم ينادون بالتحرر من المرجعية الدينية، فإنْ فتَّشْتَ عن البديل وجدْتَه لا شيء! يعلنون القطيعة عن الدين، ويتخذون الهوى معبودًا ينالون منه مرادهم حسب الحاجة، كشأن العربي القديم حين كان يتخذ آلهةً من التمر، فإنْ ألجأته الحاجة إلى أكلها قَضَمَ منها قضمة، غير أن معاصرينا ما عادوا يصنعون آلهتهم من التمر، بل هي خليط من وجبات سريعة مستوردة، أكثر مكوناتها فضلاتٌ غير صالحة للاستهلاك الآدمي!

نعيش اليوم زمانًا تَعَايَا فيه الغربُ فلا يدرون أيّ بابٍ بقي من أبواب (القَرَف) لم يطرقوه، وتَعَايا فيه (رَعاعُنا) فلا يدرون أيّ شبرٍ من (جُحر

الضب) لم يدخلوه! والقلوب سادرة، والآيات تتجلى، والابتلاءات تتنزل، وما هي ابتلاءاتٍ بخوف وجوع ومرض وموت، إنما ﴿**بِشَيْءٍ** مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: 155].

* * *

كتبتُ السطور الأولى من هذا الموضوع أيام (منتديات المجرة) قبل نحو خمس عشرة سنة، واقتبستُ حينَها كلامًا للدكتور محمد علي البار – حفظه الله – من مقدمته لتحقيق كتاب الجلال السيوطي: (ما رواه الواعون في أخبار الطاعون)، لخّصتُ فيه التشخيص الطبي للطواعين، وموجات الوباء التي عصفت بالعالم. وكان مما نقلتُه عنه قوله: «ويبدو – والله أعلم – أن عهد الطاعون كوباء عالمي يحصد الملايين قد انتهى...».

وأذكر أنني بَعْدَها بسنتين في شهر صفر 1430هـ/ فبراير 2009م انتهزتُ فرصة زيارة الدكتور البار لِعُمان، فسألتُه عن كلامه السابق من باب تأكيد المعلومة، فأكّده لي وقال: نحن نقيّد ذلك بعِلْمِ الله لأنه من صميم عقيدتنا، وإلا فأنا أنقل هذا الكلام عن كبار علماء الأوبئة في زماننا من غير المسلمين، وهم يجزمون بأن عهد الطاعون ولى، لأن الطب اليوم بلغ درجة عالية من التقدم.

وقد أحيانا الله إلى هذا الوقت الذي قاربتْ فيه حالات الإصابة المسجلة عالميا بفيروس (كورونا) 200 مليون حالة، وتجاوزت الوَفَيَات حاجز الأربعة ملايين وفاة! أكتب هذا غيرَ مُستهينٍ بجهود الأطباء الذين يعايشون

المعاناة لحظة بلحظة، ولا مُسْتَخِفًّا بأبحاث العلماء التي أثمرتْ حياةً صحية فاضلة غيّرت وجه البسيطة، غير أن هذه الحال التي نعيشها اليوم أبلغُ شاهدٍ على ضعف الإنسان ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ [الإسراء: 85] ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: 24].

وليس ثمة لزومٌ بين الحضارة من حيث هي، وما يُتوقع منها من مبادئ الحق والخير للإنسان، لأن الحضارة ليست أكثر من ثمرة الجهود المبذولة من قِبَل الفكر الإنساني، ورُعونات النفس وأهواؤها من شأنها – إذا تُركت على سجيتها – أن تحمل أصحابها على بسط أسباب الظلم والطغيان، وإيقاد نيران الشرور والفتن على وجه الأرض. ثم إن الناس اليوم قد وقعوا في متاهات من المواضعات والأعراف النِّسبية، بسبب عدم اتفاقهم على مقاييس ثابتة لمعنى الخير والشر، فكان من آثار ذلك أن أصبحت الجهود الحضارية تجارب اجتهادية متناقضة في أكثر الأحيان، في نطاق السعي إلى ما يُظن أنه الخير والسعادة للإنسان[2].

ولن تجد هذه البشرية ضالتها إلا إذا اهتدت إلى طريق الله. و«لعل من أخطر الإصابات التي لحقت بالأمم السابقة، وكانت سبب هلاكها وسقوطها:

---

[2] ملخصا من: **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**؛ تأليف: محمد سعيد رمضان البوطي. ط1: ط2: 1412هـ/ 1992م. دار الفكر – دمشق/ سورية. ص22.

التواطؤ على المعاصي الخلقية والفكرية والسياسية، وغياب الرقابة العامة التي تضمن حراسة الخير وتواصله واستمراره، وتبين الخطأ وتحذر من عواقبه ونتائجه»[3]. وسنة الله في خلقه لا تتبدل ولا تتغير.

سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني

حي مزون؛ فجر الجمعة

6 ذي الحجة 1442هـ

---

[3] مقتبسا بتصرف من: **الأعمال الفكرية الكاملة** لـ: عمر عبيد حسنه. ط1: 1432هـ/ 2011م. المكتب الإسلامي- بيروت/ لبنان. مج3/ ص1596.

الفصل الأول

مهاد تاريخي

■ **تمهيد:**

يُعدُّ الطاعون من أشد الأوبئة فتكًا بالبشرية على مدى القرون والأجيال المتطاولة، حتى إن كلَّ وباءٍ شديدٍ يُسمى طاعونا. وقد أخبرنا نبيُّنا عليه الصلاة والسلام أنّ الطاعون رجزٌ وعذابٌ أرسله الله على مَنْ قَبْلنا. ففي باب الطاعون من مسند الإمام الربيع: قال أبو عبيدة: قَالَ سعدُ بن أبي وقَّاص لأسامة بن زيد: ماذا سمعت مِنْ رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم يقولُ في الطاعون؟ قَالَ: سمعتُه يقول: «الطاعُونُ رجْزٌ أُرسل على طائفة من بني إسرائيل، أو على من كانَ قبلكم، فإذا سمعتم به بأرضٍ فلا تدخُلوها عليهِ، وإذا وَقعَ في أرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فِرارًا منه»[4].

«وسَبَقَ الإسلامُ - ممثلاً في هدي الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام - إلى استعمال الحَجْر الصحي. فالمنعُ من النزول ببلدٍ وقع فيه الطاعون إنما هو من أجل تجنيب النفس المضار؛ لئلا تنتقل إليها العدوى، والنهيُ عن الخروج من بلد وقع فيه إنما هو من أجل الحذر من نقل العدوى إلى الغير»[5].

ولعلماء المسلمين اهتمامٌ كبير بما وَرَدَ في الطاعون من آثار وأخبار، دَوَّنوها في شروح الحديث، أو كتب الفقه، أو في رسائل مستقلة. وشغل هذا

---

[4] الحديث أخرجه أيضا البخاري ومسلم في **صحيحيهما** في كتاب الطب عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

[5] **القيم الإسلامية ودورها في تقديم الحلول للمشكلات البيئية العالمية**؛ للشيخ أحمد بن حمد الخليلي. الطبعة الأولى: د. ت. الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية- سلطنة عُمان. ص83 – 84.

الموضوع حيّزًا كبيرًا من اهتماماتهم العلمية[6]. ولا عَجَبَ في ذلك؛ فإن الطاعون يشكّل تحدّيًا رهيبًا، إذ كان يقتل ويحصد الملايين في دورات متتابعة وهجمات متلاحقة شملت العالم بأسره، ولم تنجُ منها شعوب العالم الإسلامي.

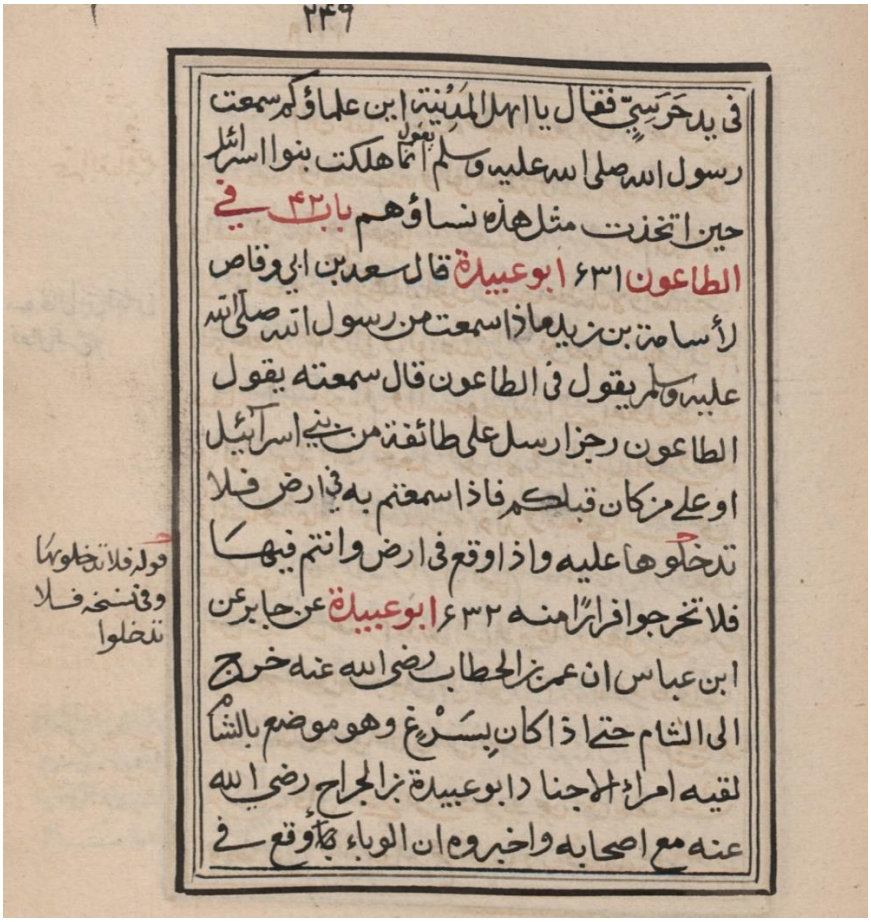

[6] انظر تفصيل ذلك مثلا في كتاب: **معجم الموضوعات المطروقة في التأليف الإسلامي، وبيان ما أُلّف فيها؛** للأستاذ عبد الله بن محمد الحبشي. ط1: 1430هـ/ 2009م. هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (المجمع الثقافي)/ الإمارات العربية المتحدة. مادة الطاعون، ج2/ ص1206. وستأتي بعض الإشارات إليه.

● تعريف الطاعون وأسبابه[7]:

الطاعون – لغة –: اسم لكلِّ وباءٍ شديدٍ يفتك بالبشر. وهذا المعنى نلمسه في عبارة أهل اللغة عند تعريفهم الطاعون أنه «المرض العام»[8]، وأنه «الموت الوَحِيُّ من الوباء»[9]. والوَحِيُّ معناه السريع. وفي الاصطلاح الطبّي: هو وباء مستفحل، سببه نوع من البكتيريا العَصَوية العنقودية (Cocco bacilli) من فصيلة يرسينيا (Yersinia Pestis) ينقلها برغوث الفئران إلى الإنسان. فإذا أصيب به الإنسان وانتقلت الإصابة إلى الرئتين ظهر الطاعون في البصاق والنفث الدموي. وبذلك تحصل العدوى، ويسهل الانتقال من الإنسان إلى الإنسان عبر استنشاق الهواء الملوّث بميكروب الطاعون[10].

---

[7] الطب من العلوم التجريبية التي تتطور يوما بعد يوم، ولم أقصد بها سأذكره هنا سوى مقدمات تمهيدية للقارئ العام غير المتخصص، تقدم له تصورا مجملا عن الموضوع، معتمدا على بعض الأبحاث الطبية لأهل الاختصاص.

[8] هذه عبارة لسان العرب. انظر: **لسان العرب**؛ لابن منظور. تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي. ط1: 1401هـ/ 1981م. دار المعارف– القاهرة/ مصر. 4/ 2676. مادة: طعن.

[9] هذه عبارة الصحاح. انظر: **الصّحاح**؛ تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط2: 1399هـ/ 1979م. دار العلم للملايين– بيروت/ لبنان. ص2158 مادة: طعن.

[10] من مقدمة الدكتور محمد علي البار على كتاب: «**ما رَوَاهُ الوَاعُون في أخبار الطاعون**» لجلال الدين السيوطي؛ المتوفى 911هـ. ط1: 1418هـ. دار القلم– دمشق/ سورية. ص8.

وهذه الأسباب ناقشها الأطباء المسلمون السابقون بعبارات غير دقيقة، وطرقها الفقهاء والمحدّثون بصورة أقرب إلى الحقيقة، كما يقول الطبيب محمد علي البار، وقد بين بطلان قول الأطباء القدامى بأن سبب الطاعون ناشئ عن فساد الهواء[11].

● **الفرق بين الطاعون والوباء:**

الوباء (= Pandemic) – باختصار – هو كل مرض عامّ يصيب الكثرة من الناس في وقت واحد. فمفهوم الوباء مفهوم عام. والطاعون – على هذا – نوع من أنواع الأوبئة. فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعونا. وقد رأينا أن المعنى اللغوي للطاعون يقترب كثيرا من معنى الوباء، فهما يشتركان في عموم الإصابة في وقت واحد، وثمة فرقٌ دقيق نَبَّه إليه بعض اللغويين يُميّز الطاعون بسرعته في الفتك بضحاياه.

ومع التفرقة في الاصطلاح العلمي ظل الناس إلى زماننا هذا يطلقون اسم الطاعون على كل وباء فتاك؛ جريا على أصله اللغوي، فيقولون عن الإيدز: «طاعون العصر» لشبهه بالطاعون في الفتك بعدد كبير من الناس، مع اختلاف أسبابهما. وسنرى – فيما يلي – تداخل هذين المعنيين في

---

[11] شاع هذا القول عند أكثر الأطباء القدامى، وانظر حول الموضوع بحثا للدكتور البار أيضا بعنوان: **الطاعون بين الطب وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم** (منشور في مجلة المجمع الفقهي الإسلامي؛ الصادرة عن المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي– مكة المكرمة/ المملكة العربية السعودية. ط2: 1426هـ/ 2005م. العدد الحادي عشر؛ ص171).

مؤلفات التراث الإسلامي عن الطاعون، ومدونات أخبار الطواعين؛ سواء كانت بأقلام الخاصة من العلماء، أو بأقلام العامة.

ويشير الطبيب البار إلى أن كلام الأطباء المسلمين قديما عن الطاعون والوباء ليس وافيا ولا دقيقا، وأن أهل الحديث والفقه كانوا أكثر دقة في التفريق بينهما، وكل ذلك عائد إلى كثرة الأحاديث النبوية الواردة فيهما، واستنباط العلماء منها موضوعات شتى تشمل الطب كما تشمل العقيدة، ومتابعتهم للطواعين الحادثة في الإسلام، ودقتهم في تسجيلها، ومتابعة تفاصيلها وأخبارها[12].

- **أعراض الطاعون:**

تنمو بكتيريا الطاعون بكثافة وبسرعة في درجة حرارة 28 مئوية. ولهذا فإن ميكروب الطاعون يظهر في البلاد الحارة بصورة وبائية في فصل الخريف، وهو أكثر أوقات حدوثها، أما الصيف الشديد الحرارة فيقتل الميكروب.

وأول مرحلة في الطاعون هي فترة الحضانة، وهي الزمن ما بين إصابة الإنسان بالميكروب وظهور الأعراض، وتتراوح بين يومين إلى ثمانية أيام، ثم يظهر الطاعون بأعراض مختلفة تتمثل فيما يلي:

1) الشعور بالإعياء والإرهاق والكآبة والقلق، وآلام عامة في الجسم، وخفقان القلب بشدة.

---

[12] من مقدمة الدكتور البار لكتاب السيوطي ص7.

2) ارتفاع في درجة الحرارة، وتضخم في الغدة التناسلية (Bubo) يتبعها التهاب فيها وتقرح، ثم يبدأ إفراز الصديد الذي يحتوي على ميكروبات الطاعون. وأشد حالاته أن ينفث المصاب دما مع بصاقه. وتنتقل العدوى باستنشاق الهواء الملوث بالميكروب[13].

● الأحاديث النبوية في الطاعون:

مما تقدم نفهم كثرة الأحاديث الواردة في موضوع الطاعون؛ التي لخصها قول المصطفى عليه السلام: «فإذا سمعتم به بأرضٍ فلا تدخُلوها عليهِ، وإذا وَقعَ في أرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فِرارًا منه». وندرك أن التشريعات الإسلامية أسست لمبادئ الحجر الصحي (= Quarantine) التي لم تعرف إلا بعد معرفة الميكروبات وطريقة انتقالها وفترة حضانتها[14].

يقول ابن القيّم في (الطب النبوي): «وبالجملة ففي النهي عن الدخول في أرضه – يعني أرض الوباء – الأمرُ بالحذر والحمية، والنهيُ عن التعرض

---

[13] المصدر نفسه.

[14] أوضح الطب الحديث حقيقة ذلك، وهو أن الشخص الفارّ من مكان الوباء قد يكون حاملا للميكروب ولم يظهر عليه المرض بعد، فإذا سافر وانتقل إلى مكان آخر نشر المرض إلى الأماكن التي يذهب إليها. (انظر: **الأوبئة في الطب العربي**؛ بقلم الدكتور: سلمان قطاية. بحث منشور في مجلة التراث العربي؛ الصادرة عن اتحاد الكُتّاب العرب– دمشق/ سورية. المجلد الثاني، العدد السابع 1982م، ص54. ثم نشر في كتاب مستقل؛ الطبعة الأولى: 2015م. دار المحرر الأدبي– القاهرة/ مصر).

لأسباب التلف. وفي النهي عن الفرار منه الأمرُ بالتوكل والتسليم والتفويض. فالأول تأديبٌ وتعليم، والثاني تفويض وتسليم»[15].

ويقول الطبيب محمد توفيق صدقي: «وهذا الحديث يصح أن يعتبر مبدأ يجري عليه الناس في مسألة الحجر المسمى باللاتينية (Quarantine) ومعناه الأصلي (أربعون)، لأن السفن الآتية من البلاد الموبوءة كانت تُمنع من الاقتراب من شاطئ البلاد السليمة مدة أربعين يومًا ، فالرسول - صلى الله عليه وسلم – يريد بهذا الحديث أن يعمل المسلمون أيضًا مثل هذا الحجر على البلاد الموبوءة ، فلا يدخلوا فيها لئلا يصابوا، ولا يخرج الناس منها لئلا ينشروا العدوى بين الآخرين»[16].

ومن لطف التشريع الإسلامي أن كَتَبَ أجر الشهادة لمن يصاب في الطاعون[17]. ففي مسند الإمام الربيع: عن أبي عبيدةَ عن جابر عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «الشُّهداءُ خمسة: المطعونُ والمبطونُ والغريقُ وصاحبُ الهدم والشهيدُ في سبيلِ الله».

---

[15] **الطب النبوي**؛ تأليف: محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية (ت751هـ). تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، وآخرين. د. ت. دار الفكر- بيروت/ لبنان. ص34 .

[16] **مجلة المنار** لمنشئها السيد محمد رشيد رضا (دار المنار- مصر)؛ المجلد الثامن عشر/ الجزء الثامن؛ 30 شوال 1333هـ/ 10 سبتمبر 1915م، ص 608.

[17] انظر: **الطاعون بين الطب وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم**. بقلم: محمد علي البار.

● أول طاعون في زمن البعثة النبوية:

أشارت الأبحاث العلمية إلى عدة طواعين نُكبت بها البشرية في تاريخها، أما أول طاعون بعد زمان البعثة النبوية فقد وقع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 6هـ/ 627م بالمدائن، ولم يدخل جزيرة العرب.

ويُعَدّ طاعون عمواس أول طاعون أصاب المسلمين، وأبادَ جُملة من خيار الصحابة. وكان ذلك في بلدة عمواس بفلسطين[18] سنة 18هـ في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقدِّرَ عدد المصابين بـ 25 ألفا.

وفي طاعون عمواس وقعت القصة المشهورة التالية المروية في كتب الحديث، وهذا نصها من مسند الإمام الربيع بن حبيب:

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس أَنَّ عُمَرَ بنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغ - وَهُوَ مَوْضِعٌ بِالشَّامِ - لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ: أَبُو عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ رضي الله عنه مَعَ أَصْحَابِهِ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الوَبَاءَ وَقَعَ فِي أَرْضِ الشَّامِ، فَاخْتَلَفُوا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: خَرَجْتَ لأَمْرٍ وَلا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: معك بَقِيَّةُ الناس وأصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نَرَى أنْ تُقْدِمَهُم على هذا الوباء. فقال عُمَرُ: ارتفعوا عَنِّي.

---

[18] عَمْوَاس (بفتح العين وسكون الميم) بلدة تقع في الجنوب الشرقي من يافا وعلى مسيرة نحو 28 كم عنها، وأكثر من ذلك بقليل عن القدس. انظر: **تهذيب الأسماء واللغات**؛ للإمام النووي. ط1: 1996م. دار الفكر- بيروت. 2/ 537.

قال ابنُ عباس: فقال عُمَر: اُدْعُ لِيَ المهاجرينَ الأوَّلِينَ. فدَعَوْتُهُمْ فاستشارهم فاختلفوا. فقال بعضُهم: مَعَكَ بَقِيَّةُ الناس وأصْحَابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تُقْدِمَهُم على هذا الوباء. وقال بَعْضُهم: خَرَجْتَ لأمرٍ ولا نرى أن ترجعَ عنه. فقال: ارتفعوا عني. فارتفعوا.

ثُمَّ قال: اُدْعُ لِيَ الأنصار. فَدَعَوْتُهُمْ. فاستشارهم فسَلكوا سَبِيلَ المُهَاجرين واختلفوا كاختلافهم. فقال: ارتفعوا عني. فارتَفَعُوا.

ثُمَّ قال: اُدْعُ لِي مَنْ كان هَاهُنا من مَشِيخَةِ قريش ومن مُهاجِرَة الفتح. فدعوتُهُم. فلَمْ يَخْتَلِفْ عليه منهم رجلان، فقالوا: نرى أن تَرْجِعَ بالناس ولا تُقْدِمَهُمْ على هذا الوباء. فنادى عُمَرُ فِي الناس: إِنِّي مُصْبِحٌ على ظَهْرٍ، فأصْبِحُوا عليه.

فقال أبو عبيدة: أفِرارًا مِنْ قَدَر الله يا عُمَر؟

فقال عمر: لو غيرُك قالَهَا يا أبا عبيدة! نَعَمْ، نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله.

قال ابن عباس: فجاء عبدُالرحمن بن عوف، وكان متغيِّبًا في بعض حاجته، فقال: إنَّ عندي مِنْ هذا عِلْمًا؛ سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا سَمِعْتُم به بأرضٍ فلا تُقْدِمُوا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بِهَا فلا تَخْرُجُوا فِرارًا منه».

قال: فحمدَ اللهَ عُمَرُ وأثنى عليه، ثم انصرف.

وكان من شهداء الصحابة في هذا الطاعون: أبو عبيدة عامر بن الجراح، ومعاذ بن جبل[19].

ولأبي ذؤيب الهُذَلي (المتوفى نحو 27هـ) عينيته المعروفة في رثاء أبنائه الخمسة، وهي أشهر شعره، وقد ذكروا أنهم ماتوا جميعًا بالطاعون في عام واحد. وفيها يقول:

أَمِنَ المَنونِ وَرَيْبِها تَتَوَجَّعُ ... وَالدَّهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مَن يَجزَعُ

قالَت أُمَيْمَةُ: ما لِجِسْمِكَ شاحِبًا ... مُنذُ ابتَذَلْتَ وَمِثلُ مالِكَ يَنفَعُ

أَم ما لِجَنبِكَ لا يُلائِمُ مَضجَعًا ... إِلّا أَقَضَّ عَلَيكَ ذاكَ المَضْجَعُ؟

فَأَجَبْتُها: أَنْ ما لِجِسمِيَ أَنَّهُ ... أَوْدى بَنِيَّ مِنَ البِلادِ فَوَدَّعوا

أَودى بَنِيَّ وَأَعقَبوني غُصَّةً ... بَعدَ الرُّقادِ وَعَبْرَةً لا تُقلِعُ

سَبَقوا هَوَيَّ وَأَعْنَقوا لِهَواهُمُ ... فَتُخُرِّموا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصرَعُ

فَغَبَرْتُ بَعدَهُمُ بِعَيْشٍ ناصِبٍ ... وَإِخالُ أَنّي لاحِقٌ مُستَتْبَعُ

وَلَقَد حَرِصْتُ بِأَنْ أُدافِعَ عَنهُمُ ... فَإِذا المَنِيَّةُ أَقْبَلَت لا تُدفَعُ

وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَها ... أَلفَيْتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ

فَالعَينُ بَعدَهُمُ كَأَنَّ حِداقَها ... سُمِلَت بِشَوكٍ فَهِيَ عُورٌ تَدمَعُ

حَتّى كَأَنّي لِلحَوادِثِ مَروَةٌ ... بِصَفا المُشَرَّقِ كُلَّ يَومٍ تُقرَعُ

---

[19] حول طاعون عمواس انظر بحثا بعنوان: **طاعون عمواس**؛ بقلم: رمزي إبراهيم عبد الله. مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية؛ الصادرة عن كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة تكريت– العراق. المجلد العشرون/ العدد الأول: كانون الثاني 2012م. ص287.

وَتَجَلُّدي لِلشامِتينَ أُريهِمُ أَنّي لَرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ
وَالنَّفْسُ راغِبَةٌ إِذا رَغَّبْتَها فَإِذا تُرَدُّ إِلى قَليلٍ تَقْنَعُ[20]

● الطواعين في التاريخ الإسلامي:

توالت الطواعين الحادثة في بلاد الإسلام، فوقع طاعون عام 49هـ بالكوفة، واستمر حتى عام 53هـ، وفيه مات زياد بن أبيه. ثم وقع بالبصرة «الطاعون الجارف» لأنه جرف الناس كما يجرفهم السيل[21]، وذلك سنة 64هـ، ومات فيه خلق كثير. واستمر حتى سنة 80هـ. ومن أشهر من مات فيه: عالم النحو أبو الأسود الدؤلي البصري (ت69هـ).

ووقع بالبصرة «طاعون القَيْنَات» في شوال سنة 87هـ، مات فيه الجواري. هكذا نقل المبرد في (التعازي والمراثي) عمن قبله من المؤرخين القدامى، وتقع تسميته في كثير من المصادر المتأخرة: «طاعون الفتيات»، قالوا: سمي بذلك لكثرة من مات فيه من الفتيات. وسماه السيوطي في رسالته عن الطاعون: «طاعون الفتيان»، قال: «لكثرة من مات فيه من الشباب»[22]. ثم وقع بالشام

---

[20] راجع: **ديوان أبي ذؤيب الهذلي**؛ تحقيق وشرح: أنطونيوس بطرس. ط1: 1424هـ/ 2003م. دار صادر- بيروت/ لبنان. ص138.

[21] قال في لسان العرب (مادة: جرف): «**والطاعونُ الجارِفُ** الذي نزل بالبصرة، كان ذَريعًا فسُمّي جارِفًا، جَرَفَ الناسَ كجَرْفِ السيل». وفي بعض كتب التراث الإسلامي إطلاقُ هذا الوصف على طواعين متأخرة.

[22] **رسالة في مرض الطاعون**؛ لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ). دراسة وتحقيق: إياد عبد الحسين صيهود الخفاجي، وعمار محمد يونس الساعدي. سلسلة: دراسات إسلامية معاصرة؛ العدد الرابع/

طاعونٌ مات فيه (ولي العهد) أيوب ابن الخليفة سليمان بن عبدالملك سنة 98هـ. ومات فيه عبد الملك ابن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله. ومن مشاهير الأعلام الذين قضوا نحبهم بالطاعون في القرن الثاني: قتادة بن دعامة (ت118هـ) مات بواسط[23].

واستمرت الطواعين طوال العهد الأموي[24]، حتى خفّت في العهد العباسي، وقيل إن أحد أمراء بني العباس خطب أهل الشام قائلا: «احمدوا الله الذي رفع عنكم الطاعون منذ وُلِّينا». فقام بعضُ مَنْ له جُرأة من الأعراب فقال: «الله أعدل من أن يجمعكم علينا والطاعون»[25].

وفي (التعازي والمراثي) للمبرد: «وكان ابن شبل بن معبد البجلي بشيراز فمات أهله بالطاعون في العراق فبلغه، فجزع عليهم فقال:

سَمَا لك في شيرازَ هَمٌّ فلمْ تَنَمْ ... غريبًا كما بعض الرِّجال غريبُ
بَرَتْنِي صروفُ الدّهر من كلّ جانبٍ ... كما ينبري دون اللّحاء عسيبُ
أقول لأصحابي وقد قذفتْ بنا ... نوى غربةٍ عمّن نُحِبّ شَطُوبُ

سنة 2011م. جامعة كربلاء/ العراق.

[23] **الأعلام** للزركلي 5/ 189.

[24] انظر: **تاريخ الموصل**؛ تأليف: أبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس الأزدي (ت334هـ). تحقيق: دكتور علي حبيبة (مدرس كلية دار العلوم- جامعة القاهرة). الطبعة الأولى: 1387هـ/ 1967م. لجنة إحياء التراث الإسلامي- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية/ الجمهورية العربية المتحدة. وذكر فيه ص118 نزول الطاعون بالبصرة سنة 131هـ.

[25] انظر: كتاب السيوطي «**ما رواه الواعون في أخبار الطاعون**» ص181 فما بعدها.

متى العهد بالأهل الّذين تركتهم ... لهم من فؤادي بالعراق نصيب؟
وهل ترك الطاعون لي من قرابةٍ ... إليه إذا كان الإياب أؤوب؟
وكنّا نرجّي أن نصير إليهمُ ... فغالَتْهُمُ من دُون ذاك شَعُوبُ
مقاديرُ لا يُغْفلن مَنْ كان يومه ... لهنّ على كلّ الأنام رقيب
سَقَيْنَ بكأس الموت من قد أصبنه ... ولِلْحيّ من أنفاسهنّ ذَنُوبُ
فقد أصبحوا لا دارُهُمْ منك غربةٌ ... بعيدٌ ولا هُمْ في الحياة قريب
وهوَّنَ عنّي بعضَ وجديَ أنّني ... رأيت المنايا تغتدي وتثوب
وأنّي رأيت النّاس أفنى كرامَهم ... حوادثُ، كلَّ العالمين تصيب
وما نحن إلاّ منهمُ غير أنّنا ... إلى أجلٍ نُدعى له فنجيب[26]

والخلاصة أن كل هذه الطواعين تدخل فيما يُسمى عِلْمِيًّا «موجة الوباء العالمي الأول» ويشمل الفترة التاريخية من قبل البعثة النبوية إلى نهاية عهد الأمويين سنة 132هـ[27].

---

[26] **التعازي والمراثي**؛ لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت286هـ). حققه وقدم له: محمد الديباجي. ط2: 1412هـ/ 1992م. دار صادر– بيروت/ لبنان. ص213.

[27] انظر: **وباء الطاعون في الإسلام وإصابة المشهورين به حتى نهاية العصر الأموي**؛ بقلم: زين العابدين موسى الجعفر، وسوسن عباس حسين، وخلود حبيب كريم. بحث منشور في مجلة جامعة كربلاء العلمية/ العراق. المجلد الثامن/ العدد الأول: 2010م. ص104 فما بعدها. و: **الطواعين في صدر الإسلام والخلافة الأموية** (دراسة في المصادر العربية والإسلامية)؛ بقلم: نصير بهجت فاضل. بحث منشور في مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية/ العراق. العدد 2/ المجلد 6/ السنة السادسة 2011م.

● **الأوبئة العالمية:**

نظرًا لسرعة انتشار الطاعون بالعدوى من إنسان لآخر صارت الطواعين ظاهرةً عالمية، تُجاوز في الغالب حدودها التي نشأت فيها، وتستمر عدواها سنين متتابعة. وقد قسمها العلماء حسب شدتها في فتراتها الزمنية الممتدة كما يلي:

1) موجة الوباء العالمي الأول: منذ سنة 541م قبل البعثة النبوية المحمدية، إلى سنة 132هـ/ 750م عند سقوط الدولة الأموية.

2) موجة الوباء العالمي الثاني: ظهر في أوروبا سنة 747هـ/ 1347م، وبدأ من فرنسا ثم انتشر إلى الشام وبلدان الإسلام. وحصد ملايين البشر، وأرخه بعض المؤرخين المسلمين.

3) موجة الوباء العالمي الثالث: ظهر في أوروبا، وسمي «طاعون لندن» لانتشاره بها؛ في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي.

4) موجة الوباء العالمي الرابع والأخير: ظهر في الصين مطلع القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وانتقل إلى بقية دول آسيا، واشتدت وطأته في الهند، وشاع حتى وصل دول إفريقيا وأوروبا. واستمر حتى نشوب الحرب العالمية الأولى سنة 1332هـ/ 1914م.

ومِن آخر الطواعين ما وَقَع بالهند سنة 1414هـ/ 1994م وأثار رعبًا وفزعا، لكنه كان محدودًا، جاوزت إصاباته الألفَ بقليل فقط، بسبب سرعة اتخاذ الإجراءات الوقائية، والقضاء على الفئران والبراغيث المسبّبة له.

وشهدت زيمبابوي مؤخرا تفشيا لطاعون الكوليرا منذ شعبان 1429هـ/ أغسطس 2008م، وسُجلت أكثر من 11 ألف إصابة، ومئات الوَفَيَات. غير أن الجهود المكثفة والتدخل السريع للمنظمات الصحية ساعد في التقليل من ضحاياه، وتقليص امتداده الزماني والمكاني[28].

يقول الطبيب البار: «ويبدو – والله أعلم – أن عهد الطاعون كوباء عالمي يحصد الملايين قد انتهى، وإن كانت البشرية تعاني من طواعين جديدة، ليس أقلها الإيدز.... الذي بلغ عدد قتلاه عدة ملايين. كما أن الملاريا تقتل كل عام أكثر من مليون شخص. وعاد السل (الدرن) ليتبوأ أعلى قائمة الأمراض المعدية في مختلف بقاع العالم، وخاصة في البلاد النامية، وما يسمى العالم الثالث»[29].

● مؤلفات المسلمين في الطاعون:

أَوْلَى العلماءُ المسلمون اهتمامًا كبيرًا بالطاعون، فخَصَّصَ المُحدّثون وشُرَّاحُ الحديث أبوابًا كاملة في مصنفاتهم للآثار الواردة في الطاعون، وصنع مثلهم الفقهاءُ، بل أفرَدَ بعضُهم رسائل مستقلة فيه، وكتب المؤرخون مؤلفاتٍ في رصد أخبار الطواعين التي عاصروها، وشهدت كتبُ الجوابات والنوازل الفقهية حضورًا كبيرا لمسألة الحجر الصحي (وهو منع الدخول إلى منطقة

---

[28] من **لقاء مع الدكتور محمد علي البار**؛ مسقط– صفر 1430هـ/ فبراير 2009م.

[29] مقدمة الدكتور البار على كتاب السيوطي (مرجع سابق) ص16.

الوباء، ومنع الخروج من البلدة التي فيها الوباء = Quarantine). وناقش الأطباء المسلمون أسبابه وأعراضه في كتبهم.

وقد استعرض الطبيب محمد علي البار الرسائل المستقلة عن الطاعون في التراث الإسلامي، فبلغت أكثر من سبعين رسالة، واستقصى قدرا كبيرا منها الأستاذُ عبد الله بن محمد الحبشي في كتابه (معجم الموضوعات المطروقة) فجاوز بها الثمانين مؤلفا. أقدمها: «كتاب الطواعين» للحافظ ابن أبي الدنيا (المتوفى سنة 281هـ) وأكثرها مخطوطٌ لم ينشر. ولعلّ من أشهرها كتاب الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت852هـ) المسمّى: «بذل الماعون في فضل الطاعون» الذي اختصره جملة من العلماء، منهم: جلال الدين السيوطي (ت911هـ) في كتابه: «ما رواه الواعون في أخبار الطاعون».

وكتب مؤخرا الدكتور محمد علي عطا بحثا استقرائيا لمؤلفات الطاعون عبر القرون الإسلامية بعنوان: (كتيبة الطاعون- الجهود العلمية الإسلامية في مكافحة الأوبئة والطواعين)، شارك به في المؤتمر الدولي الثامن لكلية الطب والصيدلة بفاس المملكة المغربية (جمادى الأولى 1442هـ/ ديسمبر 2020م). وللأستاذ محمود زكي ورقة بحثية ماتعة بعنوان: (قراءات في مخطوطات مكتبة قطر الوطنية: أدبيات الوباء في التراث العربي، والدروس المستفادة لجائحة كوفيد-19). وأصدرت الرابطة المحمدية للعلماء كتابا مرجعيا لمجموعة باحثين بعنوان (جُنّة الوجيع) في 980 صفحة. ويظل التراث العماني حقلا خصبا لم يُستكشف بعد.

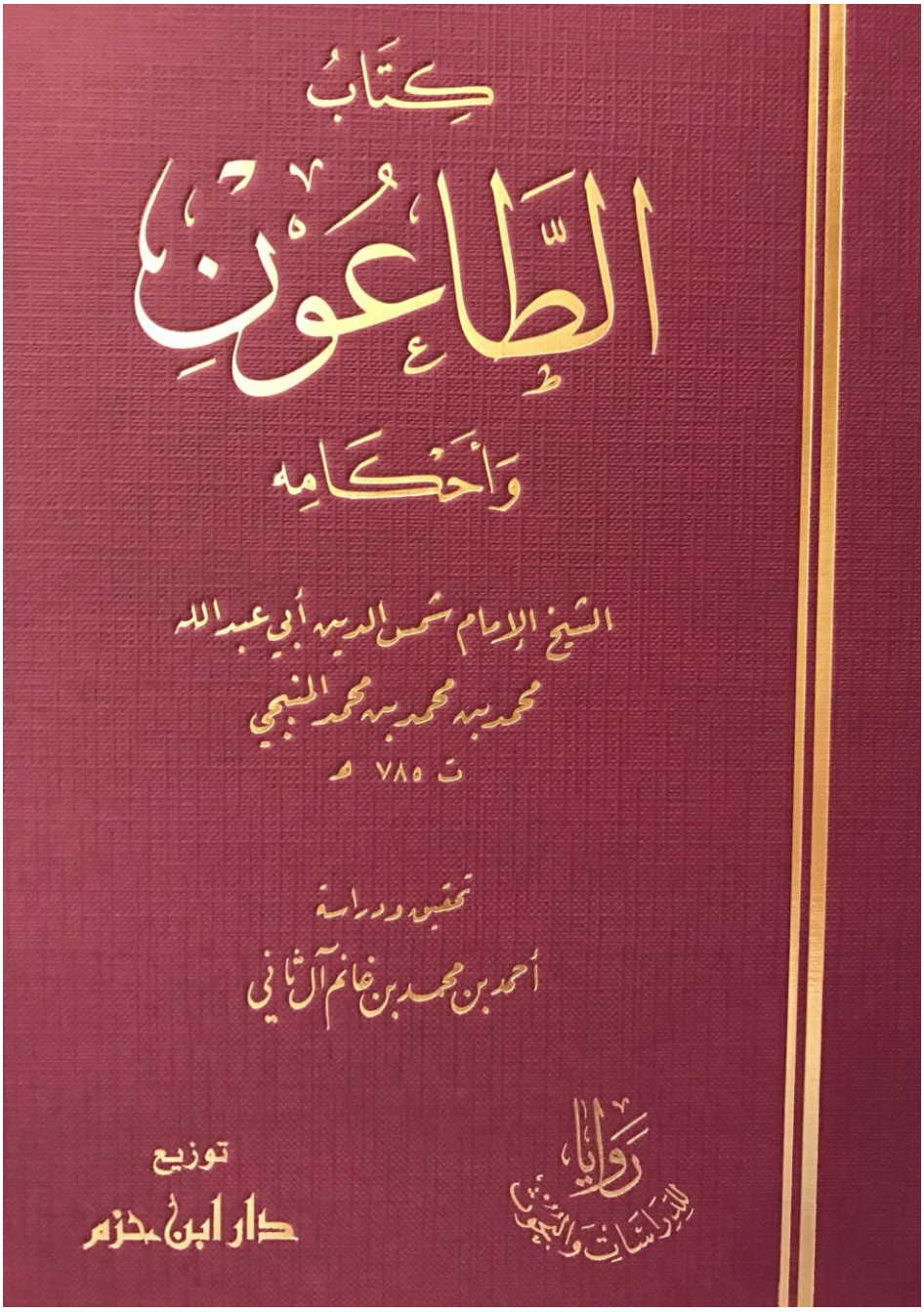
كتاب
الطاعون
وأحكامه
الشيخ الإمام شمس الدين أبي عبد الله
محمد بن محمد بن محمد النبجي
ت ٧٨٥ هـ
تحقيق ودراسة
أحمد بن محمد بن غانم آل ثاني
روايا للدراسات والبحوث
توزيع
دار ابن حزم

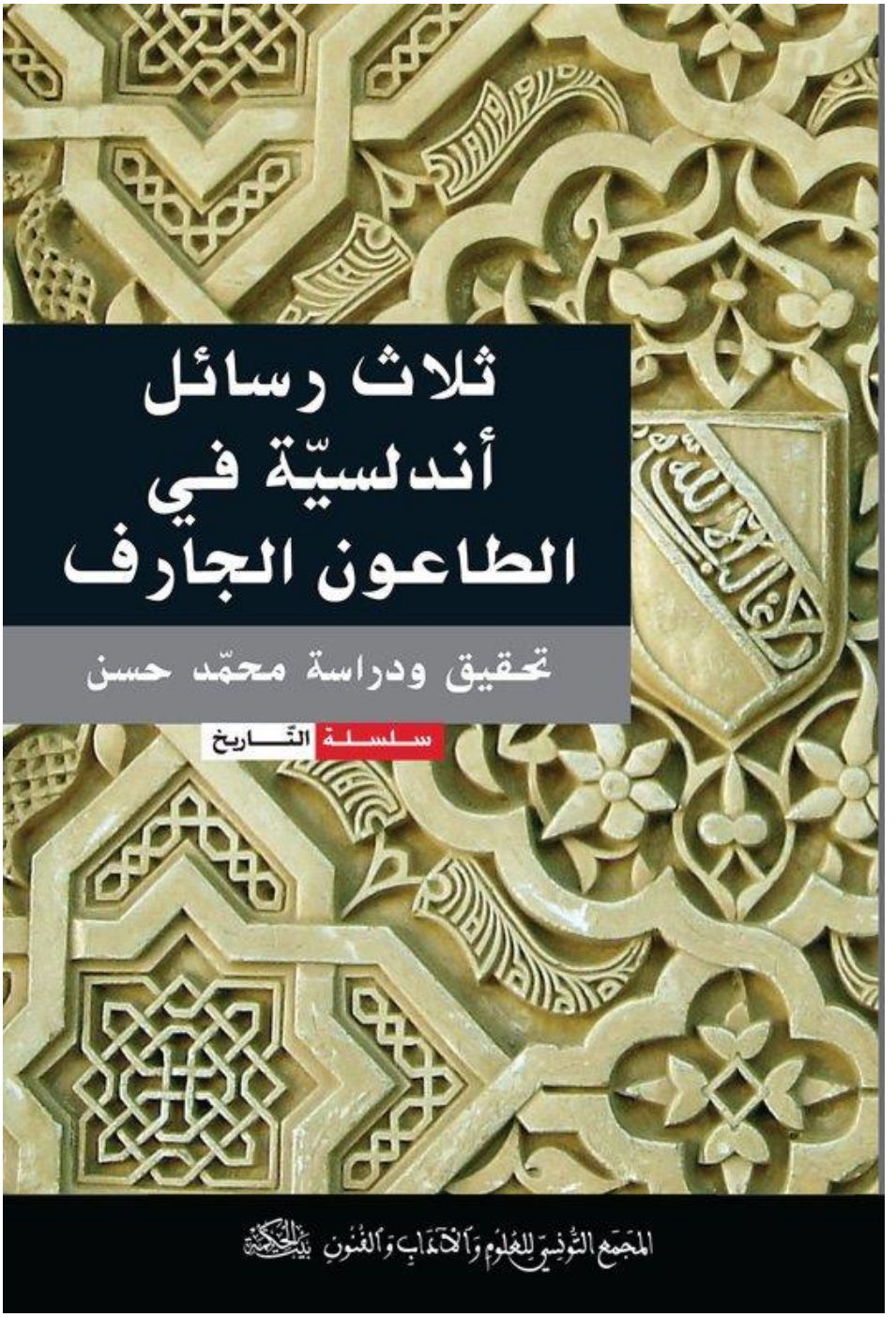
ثلاث رسائل
أندلسيّة في
الطاعون الجارف
تحقيق ودراسة محمّد حسن
سلسلة التّاريخ
المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة

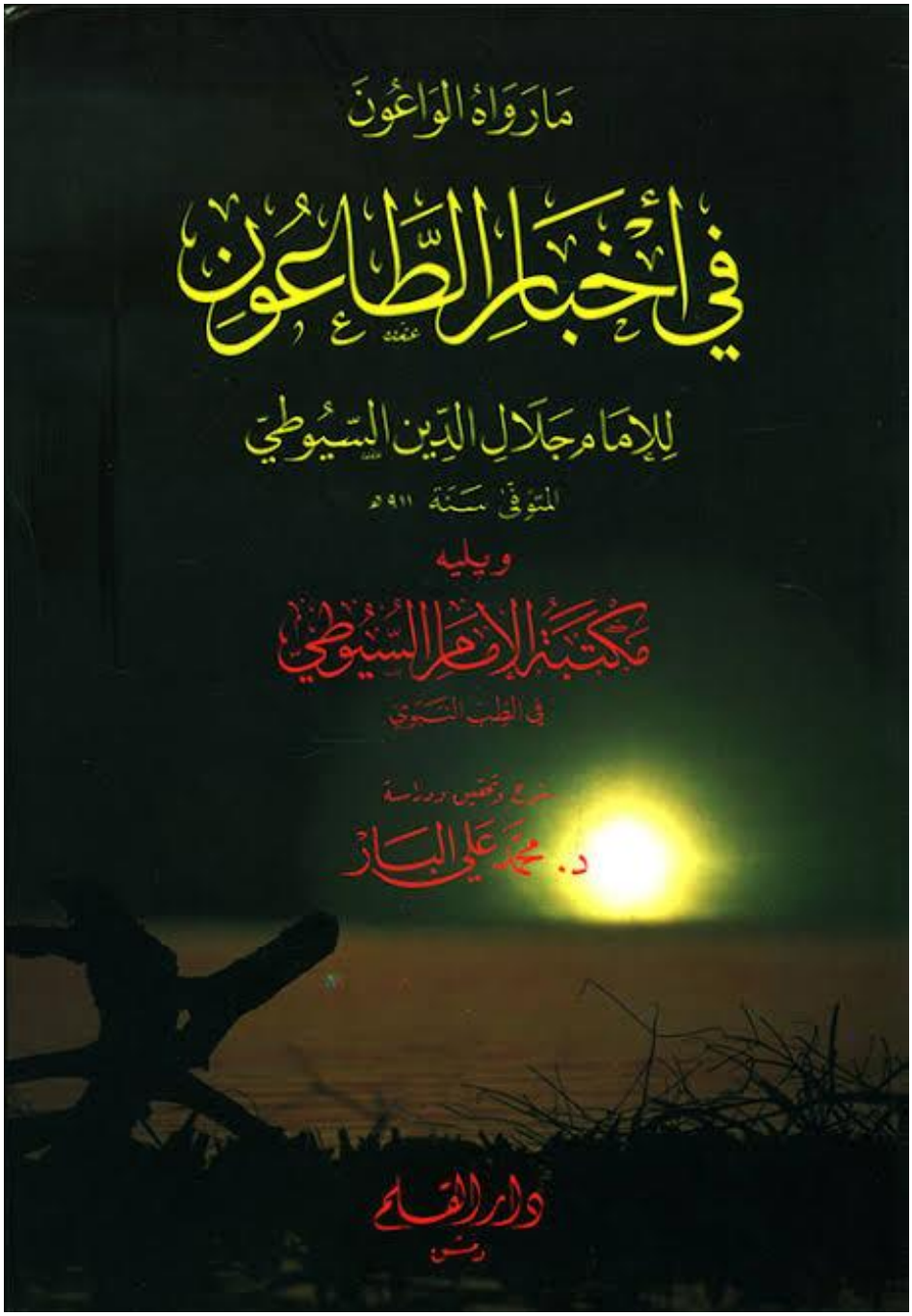
مارواه الواعون
في أخبار الطاعون
لِلإمام جلال الدين السيوطي
المتوفى سنة ٩١١ هـ
ويليه
مكتبة الإمام السيوطي
في الطب النبوي
خرج وحقق ودرسه
د. محمد علي البار
دار القلم
دمشق

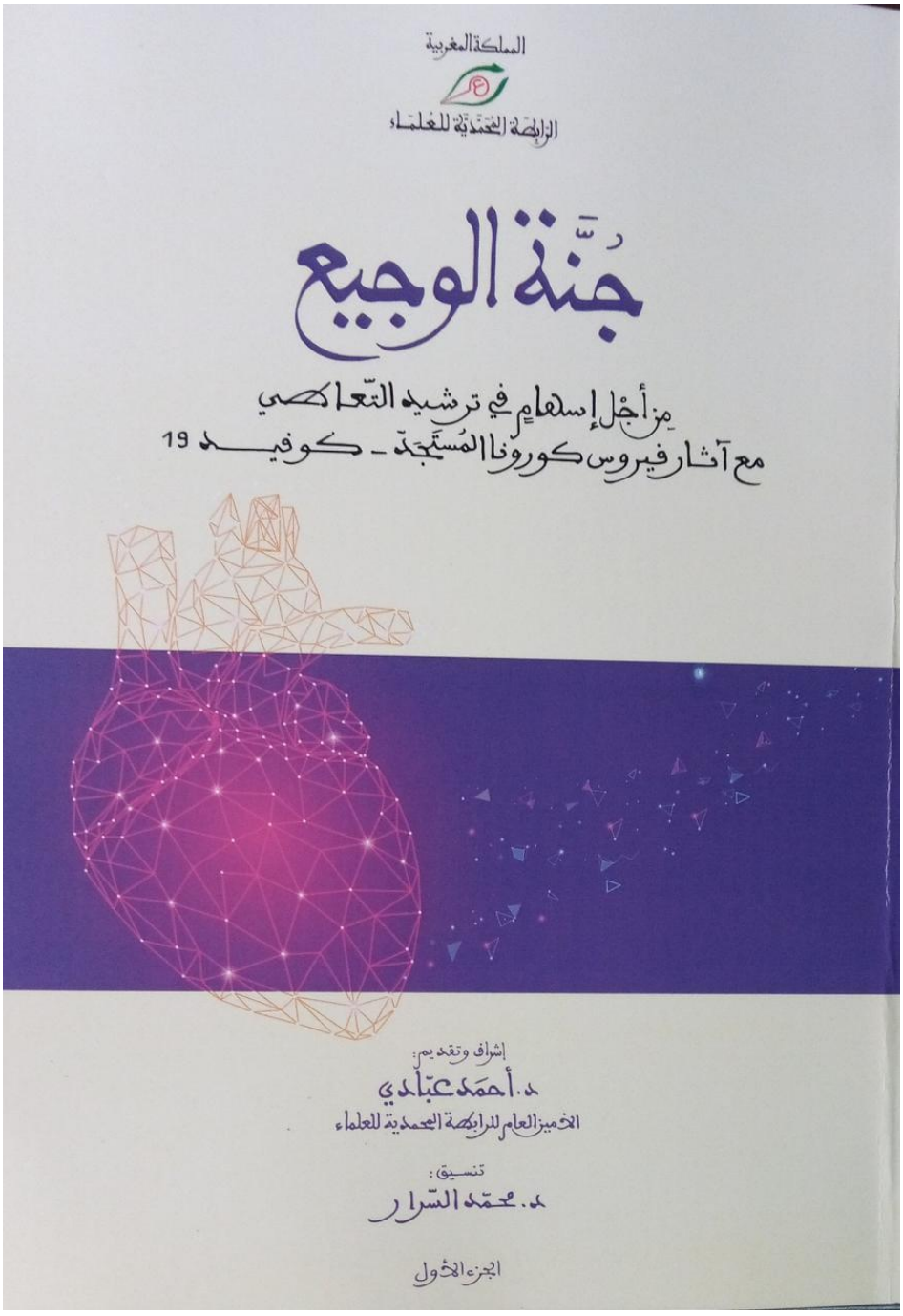
المملكة المغربية
الرابطة المحمدية للعلماء
جُنّة الوجيع
من أجل إسهام في ترشيد التعاكسي
مع آثار فيروس كورونا المستجد - كوفيد 19
إشراف وتقديم:
د. أحمد عبادي
الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء
تنسيق:
د. محمد السرار
الجزء الأول

الفصل الثاني

الطواعين

في الذاكرة العُمانية

● آثار العُمانيين المدوّنة عن الطاعون:

لم أجد لأحدٍ من العمانيين تأليفا مستقلا في هذا الجانب، غير أن لهم تقييدات كثيرة لِمَا عاصروه من أحداث الطواعين بعمان، خصوصًا: موجة الوباء العالمي الرابع والأخير؛ التي أصابت عمان في فترتين متباعدتين: الأولى سنة 1236هـ، والثانية سنة 1317هـ تقريبًا أو قبل ذلك بقليل.

وتنوّعت كتابات العُمانيين عن الطاعون، فبعضها تقييداتٌ في المخطوطات دونوا فيها مشاهداتهم، وبعضها تأريخ لوفياتٍ سببها الطاعون، وأسهم الأدباء بقصائد يرثون فيها من قضى نحبه بهذا الوباء، كما كان للفقهاء مشاركة كبيرة في بحث قضايا الطاعون والروايات الواردة فيه، والتطبيقات العملية المتعلقة به.

ولم يُغفل الأطباء العمانيون الحديث عن الطاعون في مصنفاتهم، كراشد بن خلف (ق11هـ) في (زاد الفقير)[30]، وراشد بن عميرة (ق11هـ) في (فاكهة ابن السبيل)[31]. أما الكتابات الأجنبية فيتمثل أغلبها في مصنفات الرحالة الذين زاروا عُمان أوقاتَ الطاعون، ودوّنوا مشاهداتهم، ولم أكترث بهذه الأخيرة في تدوين أخبار الطاعون بعمان إلا للاستئناس، لأن الغاية هنا توثيق حضور الطاعون في الذاكرة العمانية بأقلام العمانيين.

---

[30] ما زال مخطوطا، وله نسخ عديدة. انظر مثلا رقم 1781 في دار المخطوطات.

[31] **فاكهة ابن السبيل**؛ تأليف: راشد بن عميرة الرستاقي. ط1: 1404هـ/ 1984م. وزارة التراث القومي والثقافة/ سلطنة عمان. 2/ 172. وانظر: **مختصر فاكهة ابن السبيل**؛ للمؤلف نفسه. تحقيق: عبد الله بن علي السعدي. ط1: 1437هـ/ 2016م. وزارة التراث والثقافة/ سلطنة عمان. ص368.

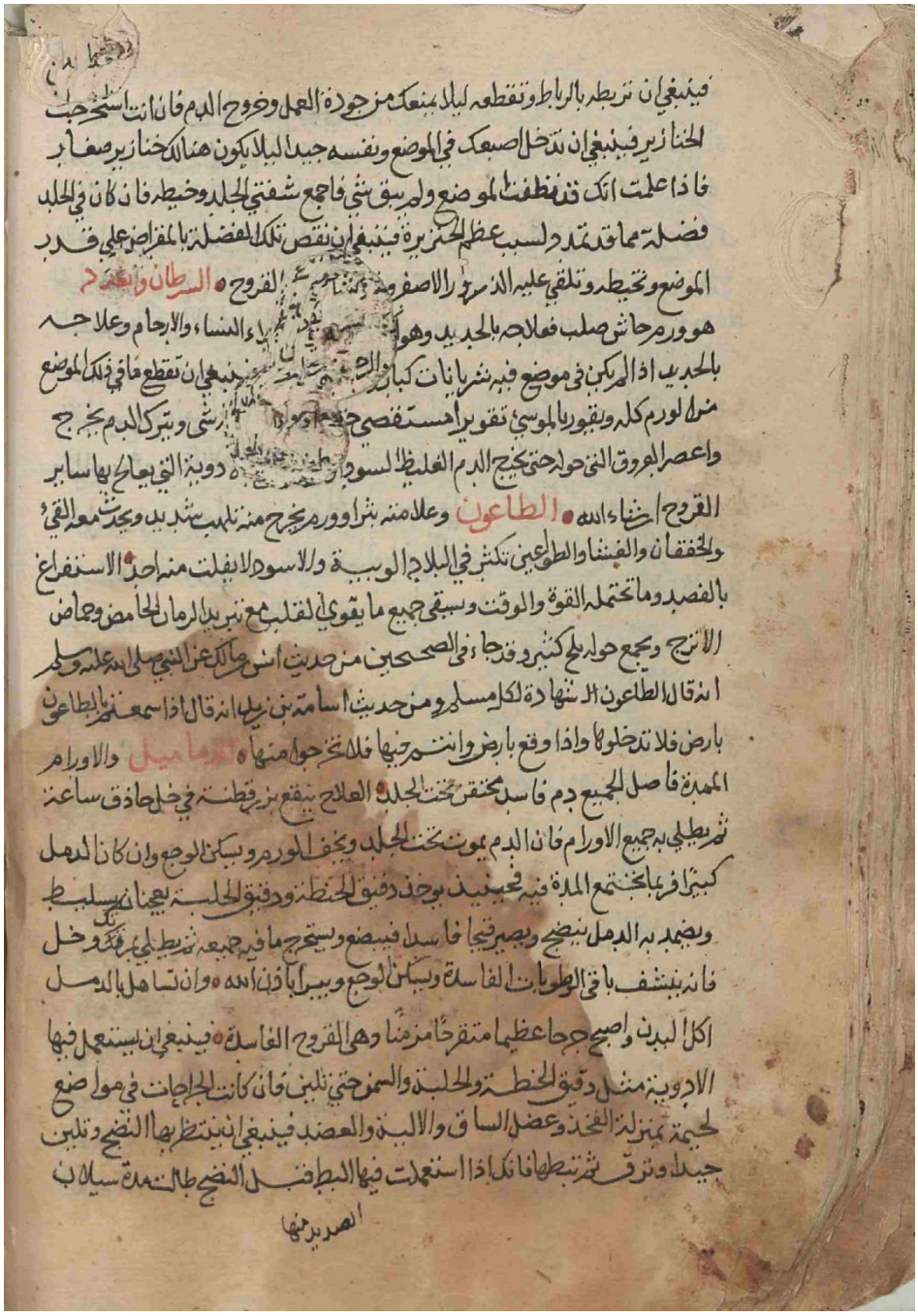

صفحة من مختصر فاكهة ابن السبيل (دار المخطوطات؛ 1782)

- **خلاصة مدونات العمانيين عن الطواعين:**

وصلتنا من القرن الهجري الأول روايات متعددة عن الإمام التابعي جابر بن زيد الأزدي (ت93هـ) تتعلق بالطاعون الجارف، وما أصاب الناس من خوف ومهلكة بسببه. وسَجَّل الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي (ت175 تقريبا) أحاديث شريفة في مسنده عن الطاعون. وثمة إشارات متفرقة عن غيرهما.

هذا ما يتصل بموجة الوباء العالمي الأول. أما الموجة الثانية (في القرن الثامن الهجري) والموجة الثالثة (في القرن الحادي عشر) فلم أجد لهما صدى في المدونات العمانية، وقد تكون عُمان سلمت منهما، أو خفيت علينا أخبارهما، لشح المصادر المتاحة.

أما الموجة الرابعة فنالت نصيب الأسد عند أهل عمان في مبتداها ومنتهاها. عاصرَ حادثةَ الطاعون الأولى سنة 1236هـ الشيخُ عامر بن علي العبادي (ق13هـ)، وكتَبَ عنها بعض المعلومات في كتابه (الصراط المستقيم)، وضبَط تاريخ وقوعها في الفترة ما بين منتصف شعبان إلى منتصف شوال 1236هـ (= منتصف مايو إلى منتصف يوليو 1821م) وهذا يعني وقوع الحادثة مع اقتراب دخول الصيف، وهو ما تؤكده عدة مصادر أجنبية. وأشار إلى انتشار الطاعون في بلدان عُمان بصفة عامة، وعلى الأخص: نزوى، وإزكي، ونخل، ووادي المعاول. باستثناء بعض بلدان الجبل الأخضر لبرودة الجوّ فيها.

وكانت نتائج الوباء – حسب كلام العبّادي - إصابة مقدار 900 شخص أو أكثر في نزوى، وأكثر من 700 شخص في نخل، وحوالي 1000 شخص في بلدان المعاول، ومئات الأموات، وخلوّ الديار من ساكنيها، وتكاثر جثث الموتى. وللشيخ عامر بن سليمان الريامي (ق13ه) تعليقات على كلام العبادي السابق، أضاف فيها مشاهداته بنفسه. كما أُثِرَتْ عن الشيخ ناصر بن جاعد الخروصي (ت1262ه) جوابات فقهية تناقش بعض المسائل المتعلقة بحادثة الطاعون، ولا تخلو من إشارات تاريخية.

ومن معاصري الحادثة أيضا: المؤرخ ابن رزيق النخلي (ق13ه)، فقد قيّد في كتابه (بدر التمام في سيرة السيد الهُمَام سعيد بن سلطان بن الإمام) وقوع الطاعون ضمن حوادث سنة 1236ه، وأشار إلى أنه كارثة عمَّت عُمان جميعها، ومات من أهلها «خلقٌ لا يُحصِي عدَدَهم غيرُ الله». كما ذكر في كتابه الآخر (الصحيفة القحطانية) أنّ من ضحايا هذا الطاعون الشاعر سيف بن ناصر بن سليمان المعولي (ت1236ه) المتوفى في بلدة مُسلمات من وادي المعاول.

وذكرت بعض المصادر الأجنبية امتداد هذا الطاعون إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وأن السلطان تركي بن سعيد (1287- 1305ه) مات متأثرا به. كما أشارت إلى تزامُن وقوعه بزنجبار أيضًا، وأن ممارسة تجارة الرقيق ونقل العبيد عبر البحر في أوضاع غير صحية كان لها أثرٌ في نشر العدوى بعُمان. وسجّلت سالمة بنت سعيد بن سلطان

البوسعيدية (ت1342هـ/ 1924م) في مذكراتها أنّ أمّها توفيت في زنجبار بالكوليرا سنة 1276هـ/ 1859م مع عددٍ كبير من الناس.

أما حادثة الطاعون الثانية سنة 1317هـ/ 1899م تقريبا فكان من معاصريها الإمام نور الدين السالمي (ت1332هـ/ 1914م)، وذكَرَ بعضَ الأخبار عنها في كتابه (تحفة الأعيان). وأشارت جملة من التقييدات المتفرقة في المخطوطات إلى أن من ضحاياه: القاضي سليمان بن ناصر الخليلي (ت1328هـ/ 1910م) المتوفى في بهلا، والسيد سعود بن حمد بن هلال البوسعيدي (ت1337هـ/ 1919م) المتوفى في نزوى، والشيخ سليمان بن محمد بن أحمد الكندي (ت1337هـ/ 1919م) المتوفى بنزوى، والشيخ سليمان بن مؤمن الحارثي (ت1317هـ/ 1902م) المتوفى بسرور.

وللشيخ حمد بن عبيد السليمي (ت1390هـ/ 1971م) دعاء في طلب الخلاص من الوباء، أملاه سنة 1337هـ/ 1919م، وتداوله أهلُ عُمان. كما أن للشاعر نصير بن ناصر بن صالح البوسعيدي المنحي (ت1375هـ/ 1955م) قصيدةً دالية في رثاء ضحايا هذا الطاعون.

وتكاد تتفق النصوص السابقة في وصف أعراض الطاعون المتمثلة في: شعور المصاب بإرهاق، وعطش شديد، وآلام عامة في الجسم، وارتفاع في درجة الحرارة، وحرقة في الأمعاء. ويشرب المصاب الماء الكثير فلا يروى، وينفث من جوفه ماءً ودمًا من فمه ودبره.

غير أن خلافا كبيرا بين الفقهاء أثارته حوادث الطاعون الواقعة بعُمان حول تشخيص المرض وحقيقة انتشاره بالعدوى، وجواز الفرار من الطاعون، والاعتزال عن الناس عند حدوثه. وهذا الخلاف انعكس على الواقع، فقد أشار عددٌ من النصوص إلى ترك بعض الناس أقاربهم المصابين في العَرَاء حتى يموتوا، وزاد بعضُها تأكيدَ اعتزالِ الناس للمصابين، وأنّ كثيرًا من الأموات لم يُغسلوا خشية انتقال المرض بالعدوى منهم إلى الأحياء. وقد شكى الشيخ عامر العبادي مِنْ قلة مَنْ يقيم في الضحايا حقوقَ الميت من تغسيلٍ وتكفينٍ ودفنٍ، وكان يضطر إلى تغسيل العشرات منهم لوحده في اليوم الواحد وسط نفور الناس منهم.

وبلغت القضية حدًّا كبيرا من الخلاف حينما اتخذ أهلُ المضيبي حُرَّاسًا على الطرقات؛ تجنبا لإصابة المنطقة بطاعون سنة 1317هـ/ 1899م، وهو ما أثار سجالا طويلا بين نور الدين السالمي وابن عمه الشاعر محمد بن شيخان (ت1346هـ/ 1927م)، كان من آثاره: تأليف نور الدين السالمي كتابه: (الحجّة الواضحة في ردّ التلفيقات الفاضحة).

1) موجة الوباء العالمي الأول في الذاكرة العمانية:

تمتد هذه الموجة كما أسلفنا منذ سنة 541م قبل البعثة النبوية، إلى سنة 132هـ/ 750م عند سقوط الدولة الأموية.

ومن النصوص المهمة عن موجة الوباء العالمي الأول، وخصوصا الطاعون الجارف: ما أورده المؤرخ أبو القاسم البَرَّادي (ق9هـ) في (الجواهر

المنتقاة)[32] من قوله: «وفي هذه السنة [سنة ثماني عشرة] وقع طاعون عمواس، وهي على عشر مراحل من بيت المقدس، مات فيه يومئذ ستة وعشرون ألفا. وفيه مات أبو عبيدة بن الجراح، والحارث بن هشام، وسهيل، ويزيد، ومعاذ بن جبل. وبهذه القرية مات بلال بن حمامة مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودفن فيها. فلما كثر الموت أَحْدَثَ الناسُ: كيف أصبحتَ؟ وكيف أمسيتَ؟ قال[33]: وقد وقع الطاعون في سنة ست وتسعين[34] بالبصرة في شوال، فمات يومئذ في ثلاثة أيامٍ سبعون ألفا. ووقع بها أيضا طاعون آخر سنة أربع وتسعين[35].

قلتُ [والقائل البرادي]: وهذا الطاعون الآخر هو الذي يذكره أبو سفيان محبوب بن الرحيل، ويسميه في كتابه (الطاعون الجارف)».

---

(32) **الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات**؛ تأليف: أبي القاسم البرادي (ت810هـ تقريبا). طبعة حجرية: 1300هـ. المطبعة البارونية- القاهرة/ مصر. ص47.

(33) أغلب الظن أن البرادي ينقل في الفصول الأولى من كتابه عن (كتاب التاريخ) لعبد الملك بن حبيب السَّلمي الأندلسي (ت238هـ). فالضمير في قوله: «قال...» يعود إلى مؤلف هذا الكتاب. انظر: **كتاب التاريخ**؛ اعتنى به: عبد الغني مستو. ط1: 1429هـ/ 2008م. المكتبة العصرية- بيروت/ لبنان. ص111.

(34) كذا ورد في الطبعة الحجرية، وراجعت بعض **الأصول المخطوطة** للكتاب فوجدتها فيه: سنة تسعة وستين. ولعله أصوب. (انظر مثلا: مخطوطة المكتبة البارونية في جربة؛ رقم 72. الورقة 20و. ومخطوطة البارونية أيضا برقم 82. الورقة 15ظ).

(35) هكذا ورد في الطبعة الحجرية، وفي جميع الأصول المخطوطة التي راجعتُها. ولعل الأصوب: أربع وستين. كما سيأتي.

هذا النص ليس فيه ما يشير إلى وقوع الطاعون الجارف بعُمان، وإنما ذكرتُه لأن لكاتبه انتماءً إلى عُمان، وهو محبوب بن الرحيل (ق2هـ) جَدّ الأسرة الرُّحَيْليّة بعمان، وهو ناقلٌ وليس شاهد عيان. وسيأتي قريبا ذكر روايات عن الإمام جابر بن زيد وهو شاهد عيان للطاعون الجارف. ونلاحظ أن تحديد السنوات يختلف عما وجدتُه في بقية المصادر، فالطاعون الجارف – حسب هذا النص – وقع سنة 94هـ، ونقلتُ من مصادر أخرى سابقا أنه وقع سنة 64هـ ولعل في أحد النصين تحريفا. والأرجح سنة 64هـ؛ بناء على إدراك جابر بن زيد للحادثة، وهو متوفى سنة 93هـ.

وعلى كل حال؛ تَرِدُ في النص السابق إشارة إلى كلام محبوب بن الرحيل، وكتابُه المشار إليه مفقود، ولم أظفر بمصدر اقتبس منه كلامه، سوى ما نقله البرادي في (الجواهر) وتابعه عليه ذو الغبراء في كتابه (شفاء القلوب) وهذا نصه: «قال أبو سفيان: رأى رجلٌ في منامه في أيام الطاعون الجارف أنه يخرج من داره اثنا عشر ميتا. وهو وعياله اثنا عشر. فمات من عياله أحد عشر، وبقي وحده. فخرج وقال في نفسه: أنا هو الثاني عشر. فلما كان من الغد دخل الدار فإذا بلصّ قد دخل ليسرق، فأصابه الطاعون فمات. فكان اللصُّ الثانيَ عشر، وبقي صاحب الدار حيا»[36].

---

[36] **الجواهر المنتقاة** ص47. و**شفاء القلوب من داء الكروب**؛ تأليف: خميس بن راشد العبري (ت1271هـ) نسخة مخطوطة مسودة للكتاب؛ أغلبها بخط مؤلفها (بحوزتي صورة منها) ص170.

وهذه الرواية رواها المبرد في كتاب (التعازي والمراثي) عن علي بن القاسم قال: حدثني رجل قال: رأيت في المنام أيام الطاعون كأنه أخرجت من داري اثنتا عشرة جنازة وأنا وعيالي اثنا عشر، فمات منا أحد عشر وبقيت وحدي، فقلت في نفسي: أنا تمام العدة، فخرجت من الدار ثم رجعت

من غد إليها فإذا لص قد دخل للسرقة فطعن في الدار فمات، فأخرجنا جنازته[37].

وليس في النص إشارة إلى أعراض المرض. وذَكَرَ من نتائجه: وفيات متعددة (شملت عائلة بأكملها) مع عدم وفاة ربّ الأسرة رغم معايشته لأهله المصابين.

وعن الطاعون الجارف وغيره وردت عدة نصوص للإمام جابر بن زيد الأزدي العماني البصري؛ ففي الطبقات الكبرى لابن سعد: أخبرنا عارم بن الفضل قال حدثنا حماد بن زيد قال: حدثنا حجاج بن أبي عيينة عن هند قالت: خرجنا من الطاعون فرارا إلى العراق، فكان جابر بن زيد يأتينا على حمار، فكان يقول: ما أقربكم ممن أرادكم[38].

وفي مصنف ابن أبي شيبة: حدثنا حماد بن مسعدة عن عبد ربه بن أبي راشد قال: كان الناس في طاعون الجارف يصلون على جنائز الرجال والنساء متفرقين، فجاء جابر بن زيد - فيما يحسب عَبْدُ رَبِّه - فجعل النساء أمام الرجال فصلى عليهم جميعا[39].

وقد سبق نقلُ حديث مسند الربيع المرويّ من طريقه.

---

[37] **التعازي والمراثي**؛ ص210.

[38] **الطبقات الكبرى**؛ تأليف: محمد بن سعد الزهري. د. ت. دار صادر- بيروت/ لبنان. 7/ 180.

[39] **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تأليف: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط1: 1409هـ، مكتبة الرشد- الرياض/ المملكة العربية السعودية. 3/ 8.

وفي أقوال الإمام جابر نفحة إيمانية فيها تذكير بعظمة الله تعالى وقدرته على خلقه، كما أن فيها سيرة عملية لكيفية صلاة الجنازة على المطعونين، والنص صريح أن الوفيات كثرت بسبب الطاعون الجارف، وصارت الجنائز تجمع ويصلى عليها صلاة واحدة. وهذه مسألة فقهية بحثها الفقهاء في مصنفاتهم[40].

2) موجة الوباء العالمي الثاني في الذاكرة العمانية:

ظهر هذا الوباء في أوروبا سنة 747هـ/ 1347م، وبدأ من فرنسا ثم انتشر إلى الشام وبلدان الإسلام. وحصد ملايين البشر، وأرخه كثير من المؤرخين المسلمين. بل شهد حضورا كبيرا في مدونات أهل ذلك العصر، خصوصا أهل الشام ومصر.

وقد ترجم صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى 764هـ) لعدد من أعيان الشام ومصر ممن قضى بالطاعون في هذه الموجة في كتابه (أعيان العصر وأعوان النصر)، منهم: عمر بن المظفر الوردي الأديب المشهور صاحب (لامية الحكم) توفي 749هـ في طاعون حلب وقال فيه: «وكان قد رأى عجائب الطاعون في حلب، فعمل فيه رسالة أنشأها وأبدعها وسماها: (النبا في الوبا)، ولكنه ختم به الوبا، وفجع الناس فيه»[41].

---

[40] انظر مثلا: **معارج الآمال**. ذكر ما يفعل عِندَ اجتماع الْجَنائِز من الصلاة عليها دفعة واحدة.

[41] **أعيان العصر وأعوان النصر**؛ تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت764هـ). حققه: علي أبو زيد وآخرون. ط1: 1418هـ/ 1998م. دار الفكر- دمشق/ سورية. 3/ 677- 679.

ومنهم: محمد بن أحمد الشيرازي توفي 749هـ في طاعون دمشق[42]. وابن اللبان الدمشقي توفي 749هـ في طاعون مصر[43]. وعلاء الدين ابن الآمدي مات سنة 764 في طاعون دمشق[44]. ومحمد بن عيسى الرياني توفي 764هـ في طاعون غزة[45]. ثم تبعهم مؤلف الكتاب خليل بن أيبك الصفدي نفسه فتوفي سنة 764هـ بالطاعون في دمشق. وكان الرحالةُ المغربي ابن بطوطة (ت779هـ) شاهدًا على ضحايا الطاعون في حلب وحمص ودمشق وغزة وبيت المقدس[46].

واستمرت موجة الوباء هذه تروح وتجيء، وفي سنة 833هـ فرغ الحافظ ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (المتوفى 852هـ) من كتابه: (بذل الماعون في فضل الطاعون)، جمع فيه الأحاديث الواردة في الطاعون وشرح غريبها. ولخصه يحيى بن محمد المناوي (المتوفى 871هـ). واختصره السيوطي (المتوفى سنة 911هـ) في كتابه المسمى (ما رواه الواعون في أخبار الطاعون). وجرى على منوالهم كثيرون بين مُسهب وموجز.

---

[42] **أعيان العصر**؛ 4/ 256.

[43] **أعيان العصر**؛ 4/ 299.

[44] **أعيان العصر**؛ 3/ 301.

[45] **أعيان العصر**؛ 5/ 42.

[46] انظر: رحلة ابن بطوطة المسماة (**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**)؛ تأليف: محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة (ت779هـ)، تحقيق: عبد الهادي التازي. ط1: 1417هـ/ 1997م. أكاديمية المملكة المغربية- الرباط/ المغرب. 1/ 325. 4/ 179.

ومن مصنفات المغاربة: (تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد) لابن خاتمة المري الأنصاري (ت770هـ) ذكر فيه الوباء الذي ضرب الأندلس والمغرب سنة 749هـ، وفصّل الحديث عن بلدان المرية وتلمسان وما جاورها. وألَّفَ مُعاصِرُه لسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ) رسالة: (مقنعة السائل عن المرض الهائل).

ولم يُؤْثَرْ عن ابن خلدون تأليفٌ مستقل في الموضوع مع أنه عانى هو نفسه منه، عندما توفي والداه وأغلبُ شيوخه في وباء سنة 749هـ[47]. ومِنْ أشهر مَنْ توفي بسببه من أهل الأندلس: ابن منظور ؛ صاحب لسان العرب، الذي قضى نحبه سنة 750هـ في مالقة بالأندلس[48].

ومن تراث إباضية المغرب في هذا الباب: قصيدة للشّيخ أبي البقاء يَعِيش بن موسى الزَّوَاغِي الجربي (ت 10 شوال 751هـ) في رثاء علماء جزيرة جربة الذين ماتوا بالطاعون سنة 750هـ[49].

---

[47] **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**. كتبه: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت808هـ). عارضه بأصوله وعلق حواشيه: محمد بن تاويت الطنجي. راجعه وأعده للنشر: إبراهيم شبوح. ط1 : 2006م. الدار العربية للكتاب، والقيروان للنشر/ تونس. ص15، 19.

[48] **الأعلام**؛ للزركلي 6/ 260.

[49] انظر: **تاريخ جزيرة جربة ومدارسها العلمية**؛ تأليف: سالم بن يعقوب. إعداد: فرحات بن علي الجعبيري. ط1 : 2006م. سراس للنشر– تونس. ص232.

وثمة دراسات حديثة عديدة تناولت هذا الطاعون في بلدان الإسلام[50].

وفي مقابل هذا الحضور الكبير لدى علماء مصر والشام والمغرب والأندلس لم أجد له ذكرًا في الآثار العُمانية، ولا أدري هل مردُّ ذلك إلى عدم وصوله إلى ديار عمان، أو هو إغفال من المؤرخين العمانيين؟

والواقع أننا نعاني شُحًّا كبيرا في تدوين التاريخ العماني، والقرنُ الثامن في نظري هو أفقر القرون بامتياز، سواء من حيث الأخبار التاريخية المدوّنة عنه، أو من حيث المصنفات العلمية المؤلفة فيه. وقد سبق لي تحرير جدول يوازن بين تحفة الأعيان للإمام السالمي (ت1332هـ) وإتحاف الأعيان للشيخ البطاشي (ت1420هـ) في حجم المادة التاريخية عن كل قرن، وجاءت المحصلة كما ترون:

---

[50] انظر مثلا: **طاعون سنة (750- 850هـ/ 1349- 1446م) في المصادر التاريخية الأندلسية والمغربية، وأثره على الحركة العلمية**. بقلم: مرتضى عبد الرزاق مجيد، وحسين إبراهيم محمد. بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية/ العراق. المجلد 23/ العدد 9/ أيلول 2016م. ص186 فما بعدها. و: **وباء الطاعون وأثره على مدينة القاهرة في العصر المملوكي**. بقلم: فتحي سالم حميدي. بحث منشور في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية- جامعة الموصل/ العراق. المجلد12/ العدد 4/ لسنة 2013م. ص455 فما بعدها. و: **الطاعون الأسود (748- 752هـ/ 1347- 1351م) بين الطبيب الأندلسي ابن خاتمة الأنصاري (ت770هـ/ 1369م) وجامعات وأطباء أوروبا- دراسة وثائقية مقارنة**؛ بقلم: حسام محمود المحلاوي. بحث منشور في مجلة وقائع تاريخية؛ التي يصدرها: مركز البحوث والدراسات التاريخية- جامعة القاهرة/ مصر. عدد يوليو 2020م، الجزء الثاني/ ص43 فما بعدها.

الزمان	عدد صفحاته في تحفة الأعيان	نسبتها من مجموع الكتاب	عدد صفحاته في إتحاف الأعيان	نسبتها من مجموع الكتاب
المقدمات والقرن الأول	86ص	21.5٪	80ص	9.5٪
القرن الثاني	46ص	11.5٪	70ص	8.3٪
القرن الثالث	141ص	35٪	42ص	4.9٪
القرن الرابع	20ص	5٪	92ص	10.8٪
القرن الخامس	40ص	10٪	57ص	6.7٪
القرن السادس	22ص	5.5٪	79ص	9.3٪
القرن السابع	2ص	0.5٪	56ص	6.5٪
القرن الثامن	12ص	3٪	12ص	1.4٪
القرن التاسع	10ص	2.5٪	159ص	18.7٪
القرن العاشر	22ص	5.5٪	203ص	23.9٪
مجموع الصفحات	400ص		850ص	

وعند التأمل في الجدول نلاحظ نقصا مشتركا بين المَصْدَرَيْنِ في القرون السابع والثامن والتاسع، وقد وُفِّقَ الشيخُ البطاشي إلى استدراك النقص في القرن التاسع بدرجة كبيرة، ورَفَعَ نسبة القرن السابع نوعا ما، لكنْ بقي الخلل قائما في القرن الثامن. وهذا القرن يشكل ثغرة كبيرة في تاريخنا وفي تراثنا.

3) موجة الوباء العالمي الثالث في الذاكرة العمانية:

هذا الوباء ظهر في أوروبا، وسُمي «طاعون لندن» لانتشاره بها؛ في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي. وأشدُّ موجاته كان سنة 1074- 1075هـ/ 1664- 1665م، حصد آلاف الأرواح في وقت قصير، ودُونت عنه كتابات غربية كثيرة. ولم أجد له صدى – حسب مطالعتي – في عمان، ولا في شيء من بلدان العرب. وقد أشار المؤرخ الجَبَرْتي (ت1237هـ) إلى وقوع طاعون بمصر بعد نحو قرن من تاريخ طاعون لندن، وذلك سنة 1171هـ، ولعله امتداد له[51].

ثم وقفتُ في كتاب (علماء جربة) على ذكر الطاعون والأوبئة الواقعة بجزيرة جربة (في تونس) في القرن الحادي عشر الهجري، أولها سنة 1014هـ، ثم سنة 1031هـ، ثم سنة 1052هـ، ثم سنة 1073هـ، وفي هذا الطاعون الأخير توفي الشيخ قاسم بن يحي الويراني الآجيمي الخيري؛ شارح نونية أبي نصر في التوحيد. هذا خلاصة ما ذكره الشيخ سليمان بن أحمد الحيلاتي الجربي صاحب الكتاب[52]، واستدرك عليه الشيخ محمد بن يوسف المصعبي

---

[51] **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**؛ تأليف: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي (ت1237هـ). تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم. ط1: 1997م. مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة/ مصر. 1/ 404.

[52] **علماء جربة**؛ المسمى: رسائل الشيخ سليمان بن أحمد الحيلاتي الجربي (ت1099هـ) في ذكر علماء جربة وأماكن أضرحتهم والحوادث التي وقعت في أيامهم ومجالسهم العلمية رحمهم الله تعالى (ومعه ملاحق متممة). تحقيق: محمد قوجة. ط1: 1418هـ/ 1998م. دار الغرب الإسلامي- بيروت/ لبنان. ص56.

الجربي (ت1207هـ) ذكر الموجة الأخيرة من الوباء في هذا القرن، سنة 1099هـ[53]، وهي السنة التي توفي فيها الحيلاتي.

4) موجة الوباء العالمي الرابع في الذاكرة العمانية:

ظهرت هذه الموجة في الصين مطلع القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وانتقلت إلى بقية دول آسيا، واشتدت وطأتها في الهند، وشاعت حتى وصلت دول إفريقيا وأوروبا. واستمرت حتى نشوب الحرب العالمية الأولى سنة 1332هـ/ 1914م أو بعدها بقليل.

والنصوص العمانية عن هذه الموجة أوفر وأغزر، وهي صريحة – كما سنرى – في ابتداء الوباء بعمان سنة 1236هـ وارتفاعه عنها لبعض الوقت ثم عودته مرارا إلى أن زال كليا في حدود سنة 1338هـأو بعدها بقليل. وسأحاول سرد النصوص هنا من الأقدم فالأحدث، ليتصور القارئ أوقات تفشيه وانقشاعه.

- **العلامة أبو نبهان والوباء:**

إذا نظرنا إلى تاريخ مبتدأ الوباء في هذه الموجة سنجد أنه يوافق السنة قبل الأخيرة من عمر الشيخ العلامة أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي (المتوفى 3 ذي الحجة 1237هـ)، ولم أجد عنه شيئا مأثورا مكتوبا حول هذه

---

[53] **المصدر نفسه**؛ ملحق به: **رسالة الشيخ محمد بن يوسف المصعبي (ت1207هـ) في بعض أحداث جزيرة جربة**. ص100.

الحادثة، ولعل كبر سنه آنذاك حال دون ذلك، غير أن ولده وتلميذه الشيخ ناصر بن أبي نبهان نقل لنا قوله وصنيعه في هذا الأمر.

فمن ذلك ما أورده في كتابه (لطائف المنن في أحكام السنن) من أحاديث الطاعون؛ نقلا عن الجامع الصغير للسيوطي[54]: «عن النبي صلى الله عليه وسلم: (الطاعون غدة كغدة البعير. المقيم بها كالشهيد، والفارّ منها كالفارّ من الزحف). (الطاعون شهادة لأمتي ووخز أعدائكم من الجن. غدة كغدة الإبل يخرج من الآباط والمراق. من مات فيه مات شهيدا، ومن أقام فيه كالمرابط في سبيل الله، ومن فر منه كالفارّ من الزحف). (الطاعون والغرق والبطن والحرق والنفساء شهادة لأمتي).

قال الشيخ ناصر بن جاعد معلقا على ما تقدم: «أما الفرار منه فلا يصح أن يَنهى عنه صلى الله عليه وسلم مطلقا، وقد وَجَدَ والدي – رحمه الله – هذه الأحاديث، وكان يخرج من البلد هو وأهله وأولاده إذا نزل بها الجدري ولم يعزله أهله، ولا نهض عليه أهل البلد بعزله. وأما إذا كان يعسر عليه وليس له مكان يخرج عنه ولا معه موضع يعتزل عنهم وعنه ووقف ضرورة فلا بأس عليه. وإذا كان معروفا أنه يُعدي فليس له أن يتعرض له.

---

[54] انظر: **مخطوطة لطائف المنن في أحكام السنن**؛ خزانة الشيخ كهلان بن نبهان الخروصي– رقم15. ص401– 402. والنص منقول في: كتاب (**قاموس الشريعة**)؛ للشيخ جميّل بن خميس السعدي. ط1: 1404هـ/ 1984م. وزارة التراث القومي والثقافة/ سلطنة عمان. ج12/ ص122– 123. ط2: 1436هـ/ 2015م. مكتبة الجيل الواعد– مسقط/ سلطنة عمان. ج12/ ص157– 158.

وقد ابتليت عُمان وغيرها في زماننا بعلة الوباء؛ تأتي في المرء فتلبث قليلا وتصهر ما في بطنه، فيخرج من أعلاه قيءٌ مُنتن الرائحة، ومِن خلفه حَدَثٌ كذلك، فتهلكه من ساعته. ومنهم من يقف قليلا إلى ثلاثة أيام فتهلكه، وربما قليلا مَنْ تأتيه ولا تضرّه. وفي كتاب شرح الأسباب: أنّها لا تضرّ المعتدلين في البرودة، وأنّها لو أهلكت المبرودين بالاعتدال مع إهلاكها لمن سواهم؛ ما تركت على وجه الأرض من إنسانٍ. وينفعها شرب اللبن الممخوض، وأن يكون على أنفه كافورٌ دائمًا إلاّ إذا خلا وحده عن الناس. وصحّ ذلك معنا؛ كلّ من مات وسار أناسٌ يغسلونه ماتوا معه إلا ما شاء الله، فلمّا شربوا اللبن ووضعوا الكافور على الأنف خفّ عنهم الموت».

إلى أن قال: «وجاء في عمان سنة 1236[55]، ثمّ جاءهم مرّةً أخرى، ثمّ جاءهم في سنة 1247، وفي هذه السنة أهلك اثني عشر ألفًا من الحاجّ في منى، وفي غيرها أكثر من ذلك منهم، ومَنْ منع بلده عن مَن همْ فيه نَفَع، وجاء ثلاث مرّاتٍ ولم يمت منه مجوسيّ، وفي المرّة الثالثة أعقبه ترامي نجوم متّصل بعضها ببعض، وذلك يوم ليلة 19 من شهر جمادى الآخرة سنة [1248][56] صار الليل كأنّه نهار، وبقي كذلك الأمر إلى نصف النهار من أوّل الليل، وأعقبه الطاعون فأفنى من البصرة تسعين ألفًا، ولم يبق منهم إلا القليل، ووصل إلى بوشهر فلم يبق منها إنسان البتة».

---

[55] في المطبوع من القاموس: 1234. وهو خطأ ناشئ من عدم التفريق بين كتابة الأربعة والستة في المخطوط.

[56] بياضٌ في المخطوط، وما بين المعكوفين زيادة من المطبوع.

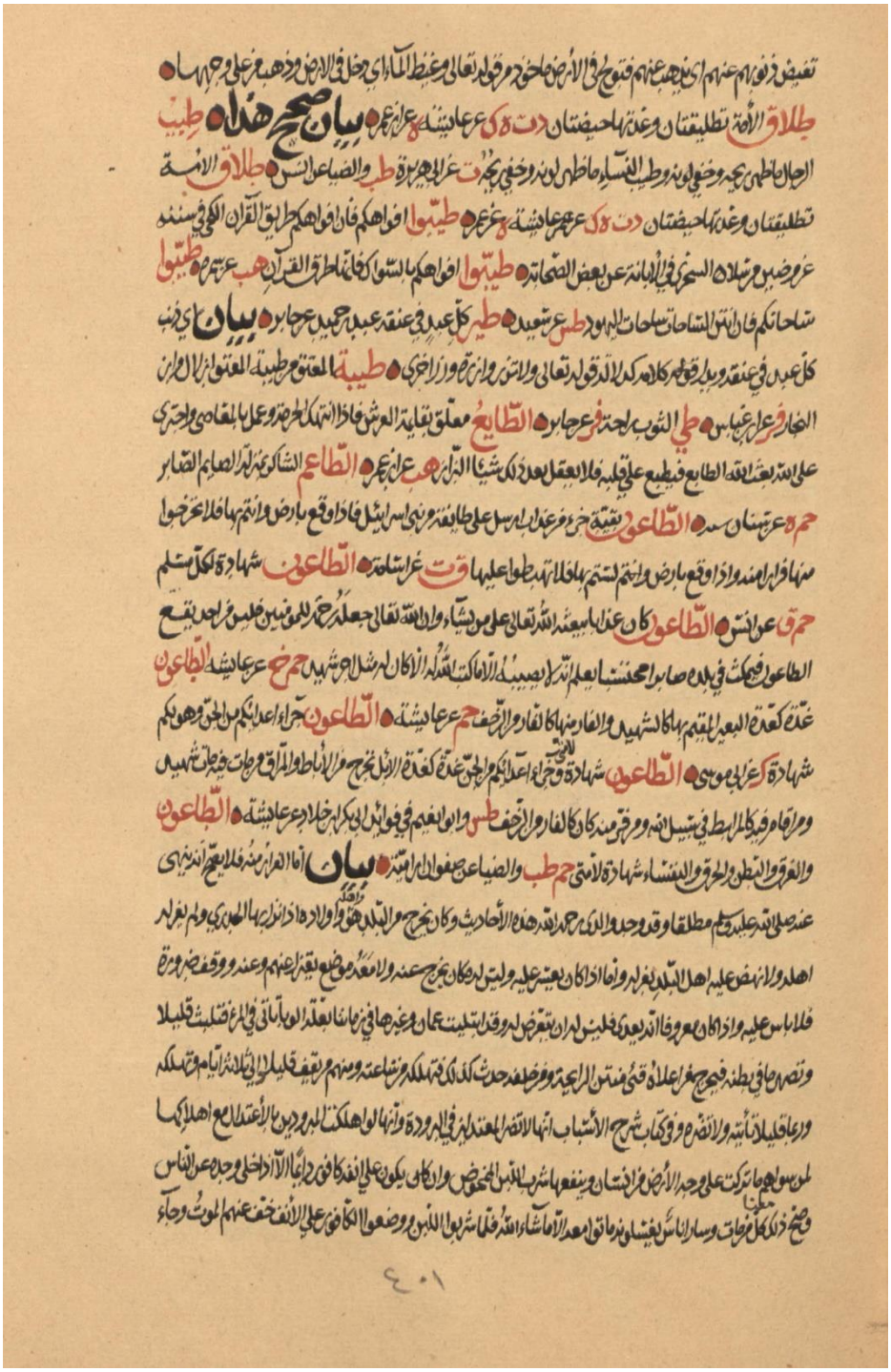

وليس في هذا النص تبيان موقف الشيخ جاعد من الطاعون الحادث سنة 1236هـ، إنما فيه بيان موقفه عموما من الجدري وما شابهه. وقد سرد الشيخ ناصر جملة من التطبيقات الفقهية المترتبة عليه من خلال معايشة والده له، مع إسقاطها على واقعة الطاعون، وبحث الخلاف حول مسألة انتقال المرض بالعدوى أَوْ لا، وجواز الفرار من الطاعون، والاعتزال عن الناس عند حدوثه.

- **العلامة ابن أبي نبهان وتشخيص الطاعون:**

من نصوص الشيخ ناصر بن أبي نبهان الأخرى في هذا الجانب قوله في كتابه (الإخلاص بنور العلم والخلاص من الظلم) في تفسير الوباء: «هي علة قريبة الشبه بالطاعون في سرعة الهلاك، وجاءت في عمان في شهر رمضان من شهور سنة 1236 وأهلكت من الناس قريبا من ثلث أهل عمان، ولم تزل كذلك تسري في كل سنة في أقطار الأرض، وأولها من بلدان النصارى إلى الهند إلى عمان إلى أرض الشامات ومصر وأرض العجم وغيرهن من البلدان، وتنتقل إلى بعضهم بالرائحة، ومن احتمى عنها من البلدان بعضهم نفعهم الاحتماء».

ثم شخّصها وذكر أعراضها وطرق عدواها وأساليب علاجها فقال: «وهي علة حارة نارية سَمّيّة، تتولد بفساد الهواء بعفونة نارية، أو من جيف كثيرة في مكان عفن حار يابس سَمّيّ، فتدخل في قلب الإنسان بالاستنشاق من الأنف، فإن كان القلب حارًّا مثلها أهلكته في الحال، وإن كان باردًا قليلا

منحرف الطبع أقامت فيه يومًا أو يومين أو ثلاثة وأهلكته، وغالبها لا تزيد على الثلاثة الأيام، وإن كان أقرب إلى الاعتدال في البرودة أقامت فيه ثلاثًا أو أقل، حتى إلى نصف يوم، ثم يجد العافية، وإن كان معتدل البرودة لم تؤثر فيه، ولو أقام عند مَنْ فيه.

ومن عجائب أمرها أنها مع قوة حرارتها ونواريتها وسميتها وعفونتها؛ مَن دخلت فيه لا تجده إلا بارد الجسد، وهي مع قوتها في الحرارة تصهر ما في البطن في الحال، فتخرجه من أعلاه من الفم، ومن الأسفل موضع الحدث، منتن الرائحة رقيقاً شديد النتونة، وذلك لسرعة إفسادها للقلب، وشدة حب تعلقها به، كالذي يقرب من الموت الذي به تذهب حرارة الحياة، ليبرد بذهابها منه الجسد.

وأنفع ما رأيناه فيها: أن يداوم وضع الكافور على أنفه، فكل من وضع الكافور في أنفه وذهب إليهم [يعني الهالكين من الطاعون] ليغسّلهم ويقبرهم لم يصبه، ولكن وجدنا نفع هذا بعدما ارتحل من بلداننا ما يزيد على الثلث»[57].

وفي العبارة الأخيرة أنموذج جميل لممارسة التجربة في إثبات النظرية، والشيخ ناصر بن أبي نبهان أحد البارعين في هذا المجال، فهو يملك حس الإدراك والملاحظة، وقد وظَّف معايناته ومشاهداته في خدمة الجانب النظري.

---

[57] مخطوط **الإخلاص بنور العلم والخلاص من الظلم**؛ دار المخطوطات- رقم 3243. ص169.

١٦٩

كلها في المحبة وهي التي اولها اري العدا عن لوم العذل هو المعدا وكذلك ظاهرها موهم وسايلها بوجيها وواجيها بوسائلها وسنذكر طرفا من بيانها ان شاء الله تعالى استشهاد الثاني في هذا الفصل الخامس في التصوف بدرجات تنوير النفس للقدسية بنور الايمان في العلم ٥

قال الشيخ العالم الرباني ابو نبهان ٥

تبصر اخي في الله فالنفس اوهاه ... ردي وني علقم اكلة خشباء
هي الجسرة المرطي لجموح واهاً ... حرون علي من كان في نفسه وغباء
فمن لم يحملها التكاليف كلها ... على رغمها ارديته عن منتهاك كبا
ومن زمها رما لها عن مرامها ... يقدها وان كانت شكيمتها صعبا
وان امر نقع الشرع ومالها ... راى ربوة تنهل انهارها سكبا
فان ذاقها لمظاها فر نقاحها ... يجد ذوقها احلى مذاقا من الصهبا
فان علها فر نهلها عذبها بعد نهلها ... يعد عودها رطبا واقواها خصبا
وان غاص في بحر الحقيقة بوجه ... يجد درة اصفى ومرجانه ارتبى
ومهما صفى في وصفه فر صفاتها ... يحل شرها اريا واجنها عذبا
وطوبى لمن في وصفه عن صفاته ... تخلى وجلى قلبه فانجلى هجياه
ولما يزل يرقى بمرقى التقى بها ... يروم الرضى خوف الشقا ان قضى نحبا
مدى عمره في شكره تحت ذكره ... لمذكوره شوقا لحب دعى رغبا

قوله تبصر اخي في الله والاخ في اسم هو الولي وهو خطاب عام والتبصر هو التامل بقوة الفكر ويشير بذلك الى ان التامل في امور النفس يحتاج الى قوة علم وكثرة بناهة وشدة مراقبة فان النفس اوهى الخبث صفاتها ودواعيها هاردي اي ضعيف وهو نقيض الجيد وني اي وخم مرض كالوبا من العلل وهي علة قريبة في الشبه بالطاعون في سرعة الهلاك وجاءت في عمان في شهر رمضان فر شهور سنة ٩٣٣ وهلكت فر الناس قريبا فر ثلث اهل عمان ولم تزل كذلك تسري في كل سنة في اقطار الارض واولها فر بلدان النصاري الى الهند الى عمان الى ارض الشامات ومصر وارض العجم وغيرهن فر البلدان وتنتقل الى بعضهم بعض بالراحة وفر احتى عنها فر البلدان بعضهم انفعهم الاحتماء وهي علة حارة نارية سمية تتولد بفساد الهواء بعفونة نارية او وخليف كثيرة في مكان عفن حار يابس سمي فتدخل في قلب

وثمة تقييدٌ بقلم الشيخ ناصر بن جاعد الخروصي في المعنى نفسه، ورد في آخر المخطوط (رقم 58؛ بخزانة القاضي حمود بن عبد الله الراشدي)، ذَكَرَ فيه شراب الكاذي – وهو الكيذا بلغة أهل عُمان – وَوَصَفَ صَنْعَتَه، وأنه ينفع من الحرارة وينفع لمرضى الجدري، ثم قال: «وقد عمله والدي لأولاده فصَحَّ فِعْلُه، وأما أنا فَجُدِرْتُ ولم يحضرني هذا الدواء، وقد عملتُه للسلطان سعيد بن سلطان عن الحرارة فوَجَدَ منه نفعًا عظيمًا».

- **الطاعون في كتابات ابن رُزَيق:**

يعد الأديب الكاتب حميد بن محمد بن رزيق النخلي؛ مؤرخ عمان في القرن الثالث عشر، ويكاد يكون أدركه من مبتداه إلى منتهاه، وقد ذكر حدث الطاعون في كتابه (بدر التمام في سيرة السيد الهمام سعيد بن سلطان بن الإمام) فقال: «وفي هذه السنة – وهي سنة الستّ والثلاثين والمئتين والألف – وقع الطاعون بعُمان فعَمَّها جميعًا، وكان هذا الطاعون الحادث غير الطاعون الذي يأتي على اصطمبول الروم والشام وبغداد والبصرة، بل هو طاعونٌ يَصْهَر بطن الإنسان، فيَخْرُج القيءُ من فمه، والسَّلحُ من دبره، حتى يموت من إصابة ذلك الداء في الحال. ومنهم من يموت بعد يومين أو ثلاثة أيام.

ولم يسلم منه إلا القليل – أعاذنا الله من ذلك – فمات من عُمان خلقٌ لا يُحصي عدَدَهم غيرُ الله، ووقع هذا الطاعون المذكور في الهند والسند ومكران وبلدان الإنجليز والفرنسيس، وعم فارس والكويت والبحرين

والظاهرة وأرض توام، فمات منه خلق لا يحصي عددهم غير الخالق جل وعلا»[58].

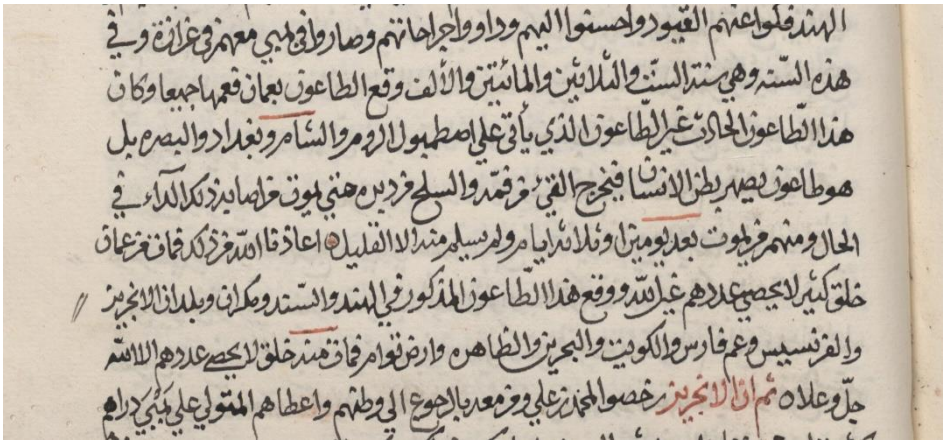

وكاتب النص هنا شاهد عيان على الحدث، ولم أفهم كيف جعله مختلفا عن طاعون اصطمبول والشام والعراق[59]. وقد أطلق القول في وفيات الوباء، مؤكدا أن خلقا كثيرا هلكوا بسببه.

وفي كتابه الآخر (الصحيفة القحطانية) نَصَّ على أحد ضحايا هذا الطاعون، فقال عند ذكر شعراء القحطانيين من عُمان: «الشيخ الأصم سيف بن ناصر بن سليمان المعولي المسلماتي؛ الشاعر الأديب. كان جيد الألفاظ في النظم والنثر، وصياغته للشعر أحكم من صياغته للنثر، وهو في زي

---

[58] **بدر التمام في سيرة السيد الهمام سعيد بن سلطان بن الإمام**؛ المطبوع ملحقا بكتاب (الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين) ط3: 1412هـ/ 1992م. وزارة التراث القومي والثقافة/ سلطنة عمان. ص536.

[59] انظر للاستزادة: **الطاعون عام 1831م وأثره على الحياة العامة في بغداد**. بقلم: لقاء شاكر الشريفي. بحث منشور في مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية/ العراق. العدد الأول- آذار 201م. ص177 فما بعدها.

الفقراء في التواضع للناس، صفر اليدين من المال، ولم يحظ بشعره على نائل من الناس، مع كثرة إلهاجه بنظم الشعر وبعثه إلى الأكابر به. وحسنت بيني وبينه الصحبة، فهو إذا جاء إلى مسقط زارني وامتزج بي امتزاجا كليا، وإذا أنا وصلت إلى (نخل) امتزجت به امتزاجا كليا. وجعلت زيارتي إليه أرسالا. وقد أسمعني كثيرا من نظمه، وأسمعته بعض شعري...

وقد توفي الشيخ سيف المذكور في مسلمات بالداء الوبائي الذي عم عمان وسائر البلدان وذلك في سنة الست والثلاثين والمئتين والألف...» [60].

- **شهادة حية من قلب الحدث:**

من أهم النصوص العمانية وأكثرها تفصيلا عن هذه الموجة: هذا النص الوارد في كتاب (الصراط المستقيم)، وهو مخطوط للشيخ عامر بن علي العبادي (ت 15 شعبان 1253هـ). وقد وَرَدَ النصُّ في خاتمة رسالة للمؤلف كتبها جوابا لسائلٍ سأله، وسمى الرسالة: (الاستعداد والبلغة والزاد في حقوق الوالدين والأولاد). وشكى في آخرها إلى سائله سوء أحوال أهل زمانه، فقال ضمن كلام طويل: «فلم تزل عُمان على معنى ما رَسَمْتُه لك حكايةً مني عن رأي عينٍ وسماع أذنٍ، منذ ذلك الزمان والعصر والأوان... والله يُظهر لهم من وسائط نقمته شائبة في الحروث فسادًا، وفي التجارات خسرا، وفي الأسفار

---

[60] كتاب **(الصحيفة القحطانية)** لابن رزيق النخلي. ط1: 1429هـ/ 2008م. تحقيق: حسن محمد النابودة. دار البارودي- بيروت. والنص موجود في ج3/ ص406- 409 من الطبعة المذكورة، وفيه أخطاء كثيرة، لذا اضطررتُ إلى مراجعته من النص المخطوط بقلم المؤلف.

خطرًا وكسرا... وهُم على معصيته يغدون ويروحون، صُمٌّ بُكمٌ عُمْيٌ فهم لا يرجعون.

حتى دنا منهم الأجلُ المحتوم، والقضاءُ المعلوم، والقدرُ الذي هو في مكنون سرّه المختوم، وذلك في النصف الآخر من شهر شعبان من عام ستة وثلاثين ومئتي وألف سنة، إلى النصف الأول من شوال؛ أرسل الله على أهل عُمان حتى على سائر الأمصار فيما بلغنا قبل هذا، ولكنه متصل غير منفصل، وقد تمكَّنَ في عُمان هذا الذي نذكره لمّا أن دنا دخول الشهر المبارك، وهو شهر رمضان....

فتح الله على الناس بابًا من أبواب نقمته وأظهر، فكشفَ لهم عن ساق سطوته وأشهر، فنفخ لهم نفخة من الريح العقيم، وأبرز لهم لفحة من نار الجحيم، فلم تزل النفخة تهب على تلك اللفحة حتى دخلت بقضائه وقدره في أجواف خلقه من الناس، فمسَّهم منها السوء والباس، الموجب إظهار الإياس، فإذا هي في بطونهم تعصر الأعضاء والأمعاء والعظم، وتصهر اللحم والدم، فترى المصاب بتلك الأسباب يشرب الماء الكثير غير القليل، فلا يروى، والعود منه ياسرٌ قد ذوَى، فيموت عطشا وهو ينزع بماء عصير جوفه من فيه وخلفه دمًا.

قد شاهدتُ كثيرا من المصابين، فرأيته يخرج منه الماء الناضح فيشرب عدة من الأواني الكبار ماء في ساعة فلا يروى حتى يموت. وكثيرٌ من هؤلاء لا يَعُون إلا والموت قد أفجأهم. والقليلُ ممن أتاه هذا فعاش، ومَن عاش منهم

فلينبئ عما قد غشيه بصحة عقله. فيقول كأن نارًا في جوفه تصهر أمعاءه. والقليل من القليل من يَحيا.

ولقد أصيبَ بهذه العلة من أهل نزوى مقدار تسعمئة نفس أو يزيدون من النصف الأخير من شعبان إلى انقضاء شهر رمضان من هذا العام المذكور، وهم على ما بهم من قلة عدد، وضعف سعي ومدد، وشمول وهن وذلة، وربما لم يبق بها بعد هؤلاء إلا النصف أو أقل، فبقيت المنازل بعدهم خاوية، وديارهم خالية، وربما الكثير من البلدان والقرى من عُمان وغيرها من الأمصار قد برحت خاوية، وسكانها ذاهبة، قد قصرت أعمارهم، وتصرمت آجالهم، بسوء أعمالهم، وقبيح أفعالهم وأقوالهم، وخبث أحوالهم، وأولئك هم وقود النار.

قال الناسخ [وهو الشيخ عامر بن سليمان الريامي]: عمَّ هذا الأمر الأشقياء والأتقياء، وكثيرا من الأطفال أولئك المبرؤون من الأوزار، ولهم البراءة من النار، وما سمعنا أن بقعة من عمان لم يصب أهلها هذا البلاء، ما خلا بلد مقزح وبلد سيجا وما حواه جبل بني ريام، إلا الذين نزلوا الوطا لقضاء حاجاتهم، هجمتهم نازلة وفاتهم، وقد عرفتُ وشاهدتُ إخوانا شيّعوا الجنائز ضحى وشيعنا جنائزهم بالعصر والظهر، وسمعتُ مَن لا أرتاب بصدقه من أهل نخل سبعمئة أو يزيدون، ومن بلد المعاول قيد ألف، والبلدانُ الحارّات أكثرُ مصاب أهلها، وأهل الجبل صادفتهم السلامة ببرد الهواء. والله أعلم.

رجع:... وإني المبتلى بالتردد ليلي ونهاري في المغاسل والمقابر، وقد خرجتُ لذلك ضرورة طلب الوسيلة والفضيلة، وأكثره علي لازم لعدم القائمين به دوني، وكثير من الموتى كنتُ وليا لهم، لا أجد أحدا غيري من أهل داري في جواري، وأنا مع ذلك المخلِّف في بيتي صرعى هذه العلة من الأهل والأقارب والعيلة، فكم من وجيع منهم يقاسي شدة الآلام، وكم من صريع يعالج سكرات الحمام، وكم من ميت مطروح منتظر به الحاملين له، مرتقب به منهم الإفاقة، مما هم فيه وعليه من المشقة والفاقة، وكثير ممن يُحمل من السبل والمقابر ميتا أو مغشيا عليه مما نفخ بجوفه من نفخات تلك النار.

وكم من الأموات بغير قرية نزوى قد ماتوا قتلى أهليهم، لتركهم إياهم يموتون عطشًا، وكثير منهم يخرجونهم والقائمين بهم من بيوتهم قسرا، فيموتون في الصحراء من حر الشمس، وكم من الأموات ألقوا في الفيافي والأقفار، تأكلهم السباع، لعدم القائم فيهم سنن الإسلام في الموتى. وذلك من شدة الروع والرعب في قلوبهم، والفراق من مألوفهم ومحبوبهم، وورود الحمام وهجومه عليهم، وهم العالمون بأنفسهم أنهم المتلوثون بأقذار المعاصي والآثام، وقد رتجت أبواب المتاب، وضربت بينهم وبينه أسوار الإصرار، وحيل بينهم وبين الإنابة والاستغفار بغيهب الاغترار، فعميت عليهم الأنباء، وأظلمت منهم الأبصار، فعموا وصموا وضلوا وأضلوا عن سواء السبيل.

قال الناسخ: أكثر هذه الأموات ماتوا من العطش؛ منهم من منعوهم أهلهم الماء شفقة عليهم، لأن بعض المتحدثين زعم أن الماء مضرٌّ بهذه العلة. وهو بخلاف ذلك. وقد شهدتُ على أحد مُجاوريّ يناديه ابنه: اسقني لقد أحرق كبدي العطش. والأب يبكي على رأسه. فنصحته ليسقيه فقال: لا؛ خوفا عليه من المضرة بظنه. فمات رحمه الله وهو ابن عشر سنين. ومنهم مَن لا يقربوهم أهلهم خوفا أن يستعدوا منهم متجنبين العلة، فماتوا فرادى. ولا أعلم أن ميتا طُهّر بالماء بقرية إزكي إلا اثنين أو ثلاثة، وذلك رأي متعلميهم عن الضرر بالبشر لزعمهم المعاداة والله المستعان»[61].

وكاتب هذا النص: هو الشيخ عامر بن علي العبادي، مع تعليقات للشيخ عامر بن سليمان الريامي (ناسخ المخطوط). وقد استوفى تفصيلات وافية عن الحادثة، فذكر تاريخها منذ منتصف شعبان إلى منتصف شوال 1236هـ (= منتصف مايو إلى منتصف يوليو 1821م) وهذا يعني وقوع الحادثة مع اقتراب دخول الصيف.

أما مكانها فبلدان عُمان بصفة عامة، وعلى الأخص: نزوى، وإزكي، ونخل، ووادي المعاول. باستثناء مقزح وسيجا وبلدان الجبل الأخضر. وقد نص الكاتب على وقوعه في غير أقطار عُمان: «أرسل الله على أهل عُمان حتى على سائر الأمصار فيما بلغنا قبل هذا، ولكنه متصل غير منفصل».

---

[61] مخطوط **الصراط المستقيم**؛ للشيخ عامر بن علي العبادي. بقلم الناسخ: عامر بن سليمان الريامي؛ فرغ منه بتاريخ 26 ربيع الأول 1242 هـ (بحوزتي صورة منه، ولا أعلم مصدر أصله). ص387 فما بعدها.

ووصف أعراض المرض على النحو التالي: شعور المصاب بإرهاق، وعطش شديد، وآلام عامة في الجسم، وارتفاع في درجة الحرارة، وحرقة في الأمعاء. ويشرب المصاب الماء الكثير فلا يروى، وينفث من جوفه ماءً ودمًا من فمه ودبره.

وكان من نتائجه: إصابة مقدار 900 شخص أو أكثر في نزوى، وأكثر من 700 شخص في نخل، وحوالي 1000 شخص في بلدان المعاول، ومئات الأموات، وخلو الديار من ساكنيها، وتكاثر جثث الموتى مع قلة من يقيم فيهم حقوق الميت من تغسيل وتكفين ودفن.

وثمة مسألتان أثارهما النص، وجرى فيهما الخلاف بين أهل عُمان:

- الأولى: هل للماء تأثير سلبي على المصاب بعلة الطاعون؟

فقد ذكر الكاتب أن المصاب يحس بعطش شديد فيشرب الماء ولا يروى حتى يموت، وأن عددا من المصابين ذهبوا ضحية منع أهليهم لهم من شرب الماء، ظنا منهم أنه مضر بهم.

- الثانية: هل ينتشر مرض الطاعون بالعدوى؟ وهل الميت المصاب يُعدي؟

فقد أشار الكاتب إلى ترك بعض الناس أقاربهم المصابين في العراء حتى يموتوا، وزاد الناسخ تأكيد اعتزال الناس للمصابين، وذكر أن كثيرا من الأموات لم يُغسلوا خشية انتقال المرض بالعدوى منهم إلى الأحياء.

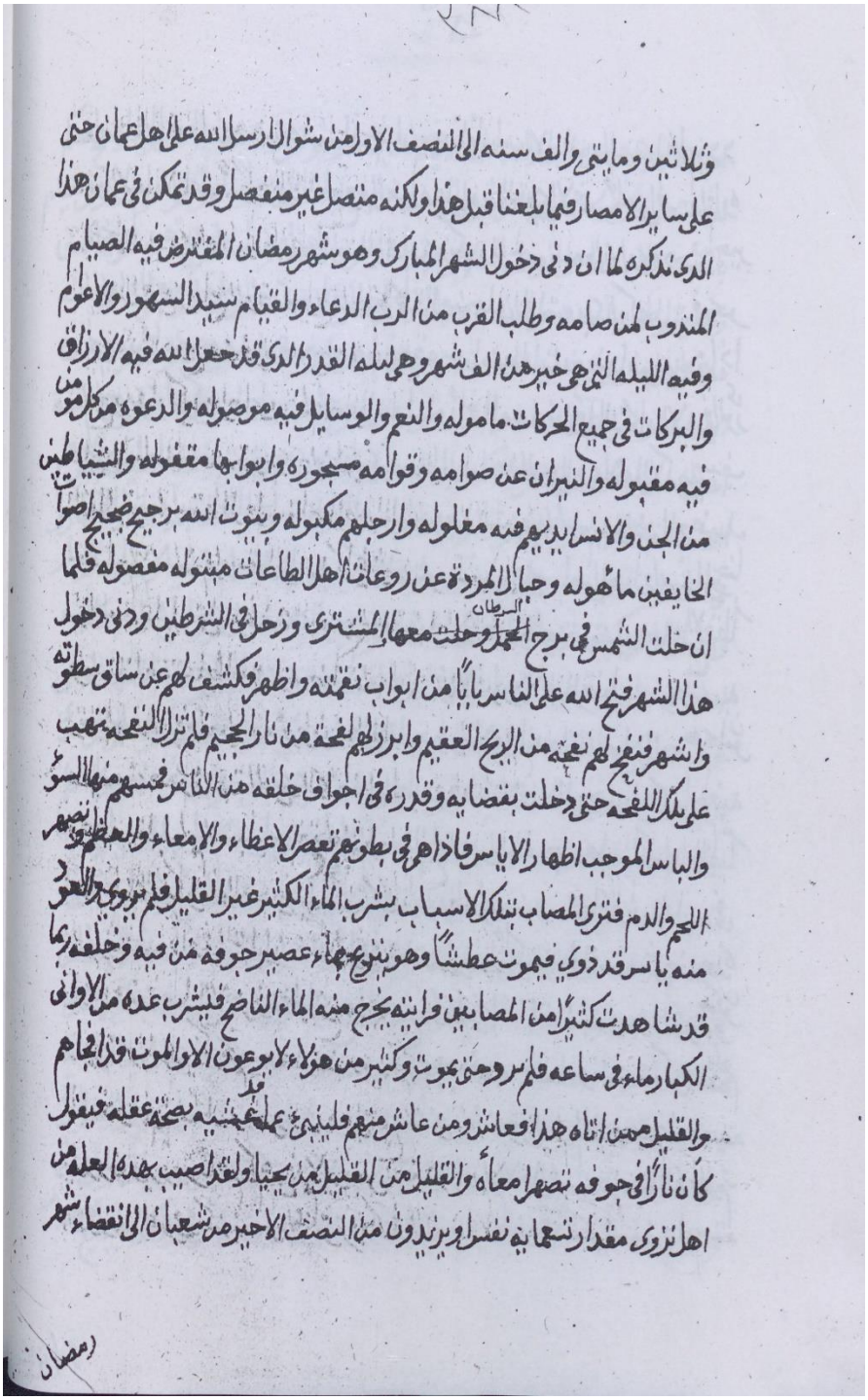

وثلاثين ومايتى والف سنه الى النصف الاول من شوال ارسل الله على اهل عمان حتى
على سايرالامصار فيما بلغنا قبل هذا ولكنه متصل غير منفصل وقد تمكن فى عمان هذا
الذى نذكره لما ان دنى دخول الشهر المبارك وهو شهر رمضان المفترض فيه الصيام
المندوب لمن صامه وطلب القرب من الرب الدعاء والقيام سيد الشهور والاعوام
وفيه الليله التى هى خير من الف شهر وهى ليله القدر الذى قد جعل الله فيه الارزاق
والبركات فى جميع الحركات ما موله والنعم والوسايل فيه موصوله والدعوه من كل مؤمن
فيه مقبوله والنيران عن صوامه وقوامه مسجوره وابوابها مقفوله والشياطين
من الجن والانس اليهم فيه مغلوله وارجلهم مكبوله وبيوت الله برجيع ضجيج اصوا
الخايفين ماهوله وحبال المردة عن روعات اهل الطاعات مبتوله مفصوله فلما
ان حلت الشمس فى برج الحمل وحلت معها المشترى وزحل فى الشرطين ودنى دخول
هذا الشهر فتح الله على الناس بابا من ابواب نقمته واظهر فكشف لهم عن ساق سطوته
واشهر فنفح لهم نفحه من الريح العقيم وابرز لهم لفحة من نار الجحيم فلم تزل النفحه تهب
على تلك اللفحه حتى دخلت بقضايه وقدره فى اجواف خلقه من الانام فحسمهم منها السوء
والباس الموجب اظهار الاياس فاذاهم فى بطونهم تعصر الاعضاء والامعاء والمعظم منها
اللحم والدم فترى المصاب بتلك الاسباب يشرب الماء الكثير غير القليل فلم يروه ولم يرد العود
منه ياس قد ذوى فيموت عطشا وهو يتنزع بماء عصير جوفه من فيه وخلفه ربما
قد شاهدت كثيرا من المصابين فرايته يخرج منه الماء الناضح فيشرب عده من الاوانى
الكبار ماء فى ساعه فلم يرو حتى يموت وكثير من هولاء لا يوعون الاوالموت قد اجاهم
والقليل ممن اتاه هذا فعاش ومن عاش منهم فليس على عد يحسبه بصحة عقله فيقول
كان نارا فى جوفه تتصهر معاء والقليل من القليل بعد بحيا ولقد اصيب بهذه العله من
اهل نزوى مقدار تسعماية نفس او يزيدون من النصف الاخير من شعبان الى انقضاء شهر

رمضان

رمضان من هذا العام المذكور وهم على ما بهم من قلة عدد وضعف سعي ومدد وشمول
وهن وذله وربما لم يبق بها بعد هولاء الا النصف او اقل فبقيت المنازل بعدهم خاويه
وديارهم خاليه وربما الكثير من البلدان والقرى من عمان وغيرها من الامصار قد برحت
خاربه وسكانها ذاهبه قد قصرت اعمارهم وتصرمت اجالهم بسوء اعمالهم وقبيح افعالهم
واقوالهم وخبث احوالهم واولئكهم وقود النار قال الناسخ عم هذا الامر الاشقيا والا تقيا
وكثير من الاطفال اوليكا المبرؤن من الاوزار ولهم البراءه من النار وما سمعنا ان بقعه
من عمان لم يصب اهلها هذا البلاء ما خلا بلد مقرح وبلد سيجا وما حواه جبل بني رياض
الا الذين نزلوا الوطا لقضاء حاجاتهم هجمتهم نازله وفاتهم وقد عرفت وشاهدت اخواننا
شيعوا الجنايز ضحى وشيعنا جنايزهم بالعصر والظهر وسمعت من الاثبات بصدقه
من اهل نخل سبعمايه او يزيدون ومن بلد المعاول قيد الف والبلدان الحارات اكثر
مصابا اهلها واهل الجبل صادفتهم السلامه ببرد الهواء والله اعلم رجع الاوانهم في
هذه النار له التي قد نزلت لم يصب الله فيها سلطانا قد تمكن في الارض على رقاب الورى
حسب ما علمناه عيانا وفهمناه سماعا ذلك تقدير العزيز العليم تمهيدا منه لهم واستدراجا
لقوله تعا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعا واملي لهم ان كيدي متين وقال
ايضا فمهل الكافرين امهلهم رويدا لكنا لما استاصلنا اصلا ما يستوجب السلطان
به التسميه له واستقصينا المعنى الموجب الاضافه اليه فوجدنا انفسنا ياسرها
مما يضاف اليه هذا الاسم كما بنا من صحيح القسم والرسم حتى لا نرى لنا فكاكا ولا خلاصا
عن هذا الاسم ولو كانت منا امره عجوز عميا محدوديه الظهر محذوله الرجلين مهزوله
المتنين فهي ولا شك انها السلطان وراعي لانها الوظفرت على هزه فيلكتها لاخذتها اخذة
ظلم وجور وشوم وبور وان الرعايا مصابين على هذا الاضر وادهى وامر واقبح واشر من
ملوكهم الذين قد قهروا عليهم المعاقل الا من رحمه الله وقليل ما هم وفيما يقع في عقلي وانزحمه

وللشيخ العبادي أيضا قصيدة فائية ذكر فيها الطاعون، وجدتُها بقلمه، مصدِّرًا لها بالنص التالي: «وقال العبد الفقير إلى الله: عامر بن علي؛ هذه الأبيات يذكر فيها الموت الذريع الواقع بعمان، وتاريخه، وما يرجوه مما يقع حسب ما قد ألهمه الله إياه في هذه المعاني، فقال:

أزِفَتْ من الملك الكبير الآزفةْ ... ما إنْ لها عن أمره من كاشفةْ
والناس في يمّ المهالك أُغرقوا ... تغشاهم أمواجه المترادفةْ
مزن المظالم لم تزل مركومة ... من فوقهم ظلماتها متكاثفةْ
قد سُكّرت أبصارهم ما أبصرت ... لورودها لَمَّا أتتهم واجفةْ
فسطت عليهم بغتة واستأصلت ... أهل الجهالة والعقول العارفةْ
كم رفقة أو سيرة أو ضيرة ... في ساعةٍ ساغت كؤوسا جانفةْ
كم حارة أو قرية أو كورة ... أضحت منازلها طلولا خاشفةْ
حلت بشهر الصوم عامة (ولرغ[62]) ... بعد انقراض أولي السيوف الناصفةْ
سيف الجليل بهم تجلى، ما له ... يُرجى لحديه أكف صارفةْ
فاجتاح شطرا من عمان وغيرها ... وبقي البقية بالنفوس الراجفةْ
ترجو مباشرة الردى لكنها ... لا شك في ظُلَم الضلالة عاكفةْ
لم تدر أين يمينها وشمالها ... وأنا المقيم على ارتجاء الرادفةْ
لا وَهْمَ بي من أنها معقوبة ... أخرى وأخرى بعدها مترادفةْ»[63]

---

[62] (ولرغ) بحساب الجُمّل= 1236.

[63] القصيدة أطول من هذا، وهي ضمن مجموع في دار المخطوطات برقم 4128.

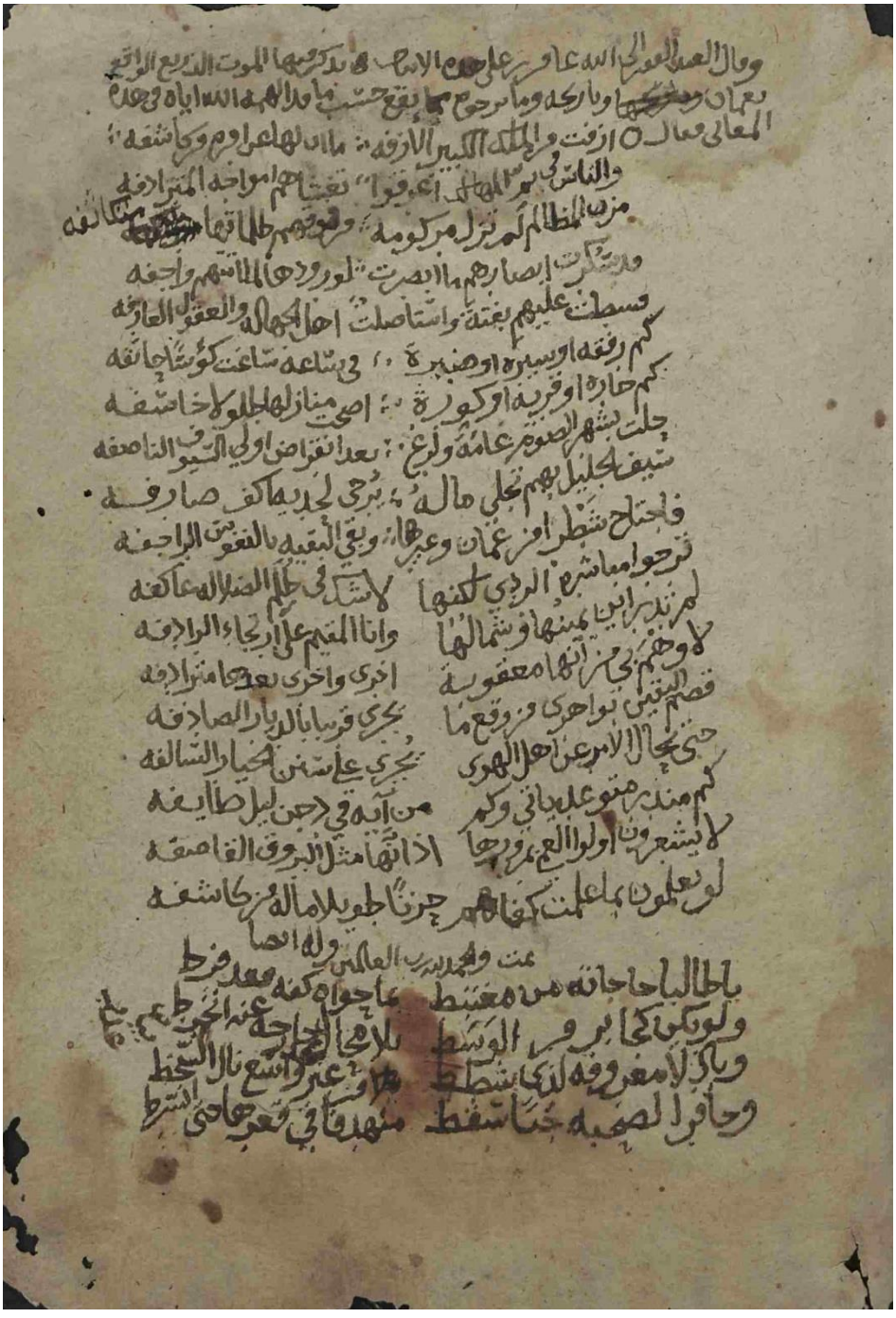

وما تَوَقَّعه العبادي من ترادُفِ موجات الطاعون وَقَع فعلا، وقد أدرك هو في آخر حياته موجة أخرى سنة 1250هـ، وأرخها في قصيدة شينية، موجودة في ديوانه[64].

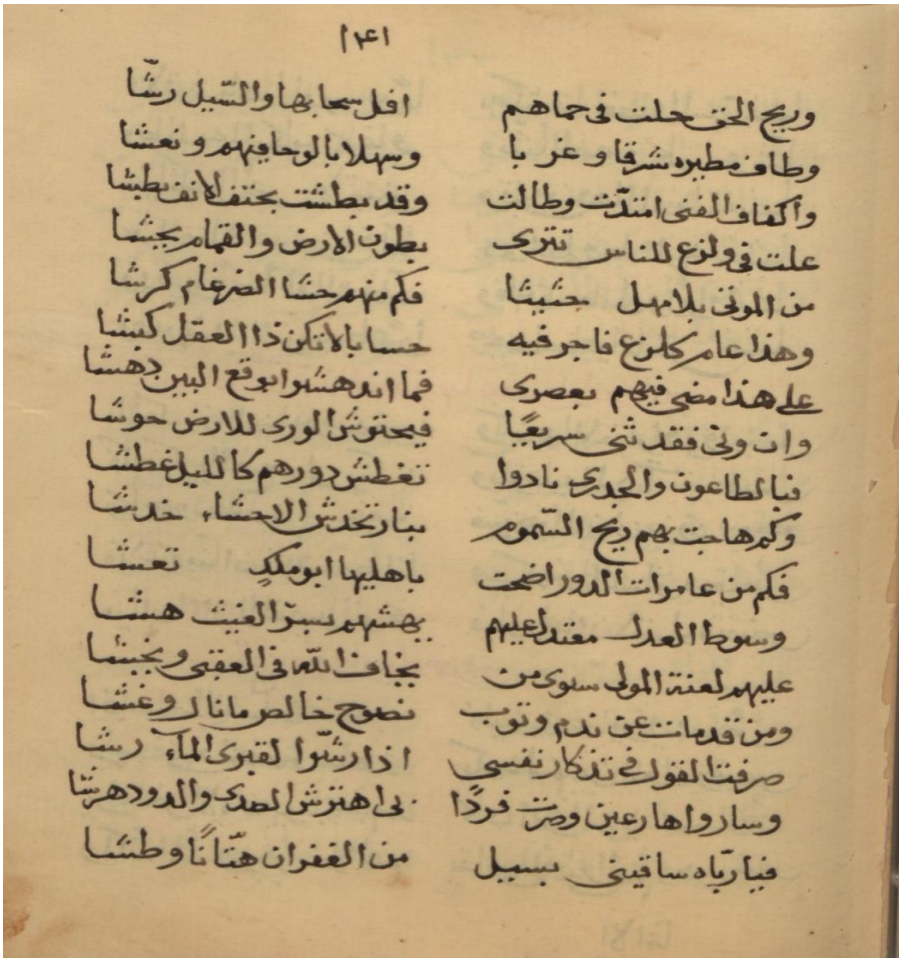

[64] انظر: **ديوان أنوار الأسرار ومنار الأفكار**؛ للشاعر: عامر بن علي بن مسعود العبادي. ط1: 1417هـ/ 1996م. الناشر: مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي- السيب/ سلطنة عمان. ص203. وراجع القصيدة من الديوان المخطوط (رقم 2057؛ مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي) ص140.

- **تقييدات متفرقة عن طاعون عام 1236هـ:**

ومن التقييدات المتناثرة عن هذا الطاعون: ما جاء مقيَّدًا في خاتمة مخطوط (حياة الحيوان) للدميري (المحفوظ بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي؛ برقم 1943) بخط الشاعر علي بن ثابت الساساني نزيل عمان: «وقع الطاعون بعمان، وقتل الله به ما شاء من خلقه. وكان وقوعه بعمان 15 شعبان سنة 1236. وزال منها بِحَوْلِ مَنْ أَوْقَعَه فيها 7 شوال. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وكتبه: علي بن ثابت بن علي الساساني بيده».

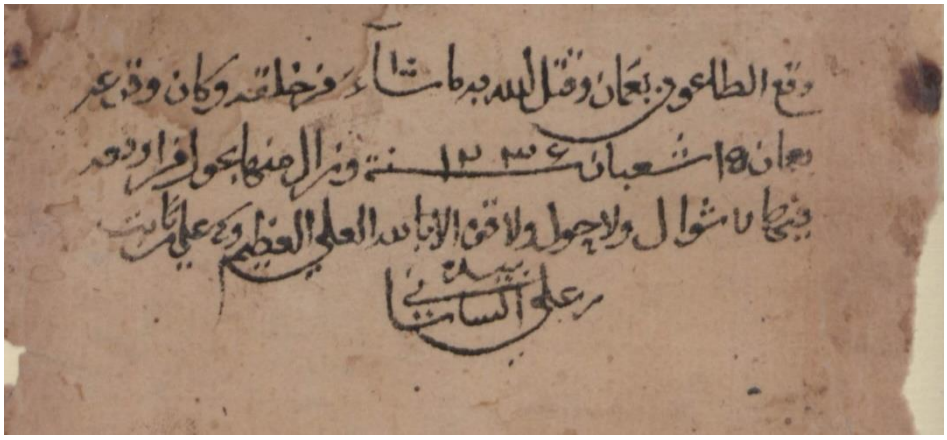

ومن ذلك ما ورد مقيدا في نسخة من الجزء الثاني من بيان الشرع (مكتبة السيد 2/ 7): «تاريخ بما وقع في عمان من تقدير الله عز وجل. في سنة 36 بعد مئتين وألف من الهجرة النبوية وقع موت في عامة عمان كلها من صور إلى الصير والبحرين، بدأ هذا الموت آخر شهر شعبان، وجاء كثرة الموت في شهر رمضان، تموت الخلق في الليل والنهار، وعشية وإبكار [كذا]، في كل ساعة وكل حين، ورُفع الموت من عاشر غادي من شهر شوال. والله

أعلم. ماتوا من أهل عمان من خمسين ألف وزيادة، من عمان ومسكد والباطنة والظاهرة والشرقية؛ إلا جبل بني ريام ما وقع [فيه] هذا البلاء، وسلموا أهله [....] مسافرة عمان، وربما ماتوا بعض من سافر بقدر 5 رجال أو أربعة رجال... كتبه الأقل لله عز وجل: هلال بن مفرج بن يحي بن مفرج الريامي بيده».

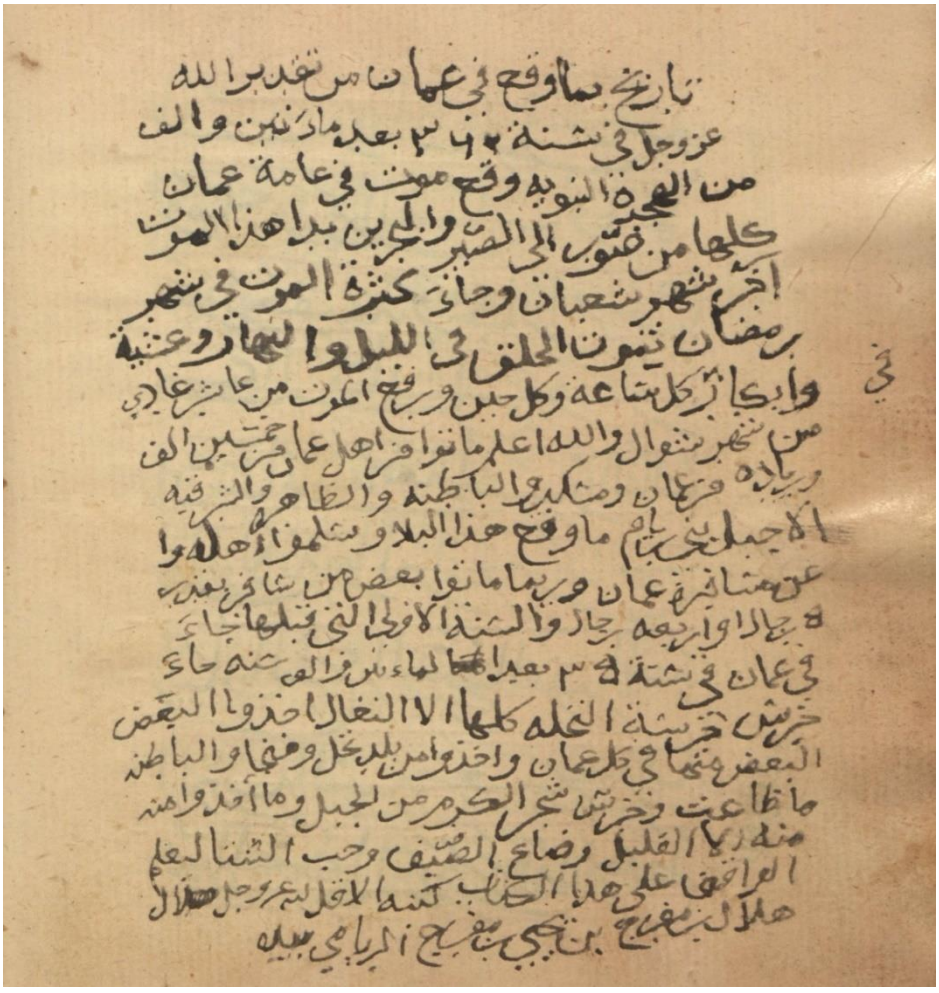

ومن التقييدات أيضا: ما ورد أول المخطوط (رقم3071 في دار المخطوطات): «تاريخ بما جرى في شهر رمضان في سنة 36 ومئتين وألف استوى موت كثير في جميع البلدان لم يحص عددهم إلا الله سبحانه وتعالى علوا كبيرا، ماتوا من بلد نزوى 9 مئة وخمسون نفس، ومن بلد بهلا 7 مئة نفس، ومن الرستاق 16 مئة، ومن سحار 3 آلاف ومئتين، ومن بلد سيت 77 نفس، وهذا كله في شهر رمضان. وكتبه مبارك بن مسعود بن صالح الذي هو من أولاد بوعبدوه المنحي [....] بيده».

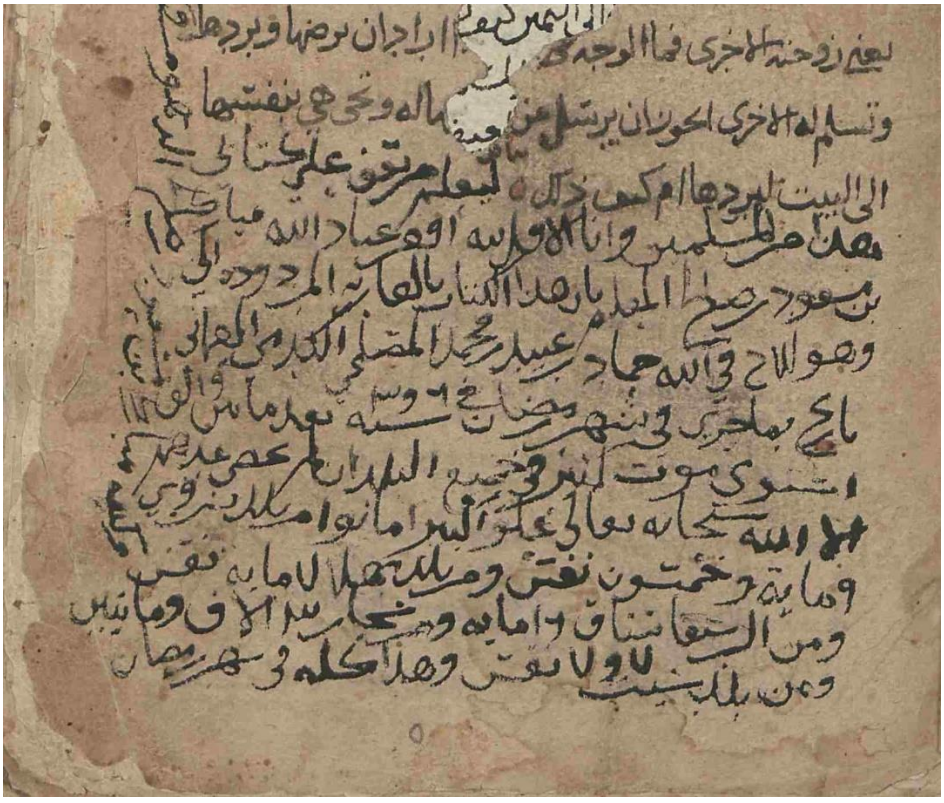

وبحوزتي ورقة مفردة اشتملت على تقييد مفيد حول هذا الطاعون؛ جاء فيه: «وقع بعُمَان آفة، وفيها موتٌ كثير، وحَلَّ في أهل البلد. وأهلُ الجبال سَلِمُوا من بدوٍ وشاوي. وصفة موته: زوع وبطن، ما أحد على أحد من كثرة الموت. وهو وقع سنة 1236 من الهجرة النبوية. كتبه سَالِم بن سَيْف بن سَالِم بن مُحَمَّد بن عُمَر الغُنَيْمِيّ بيده».

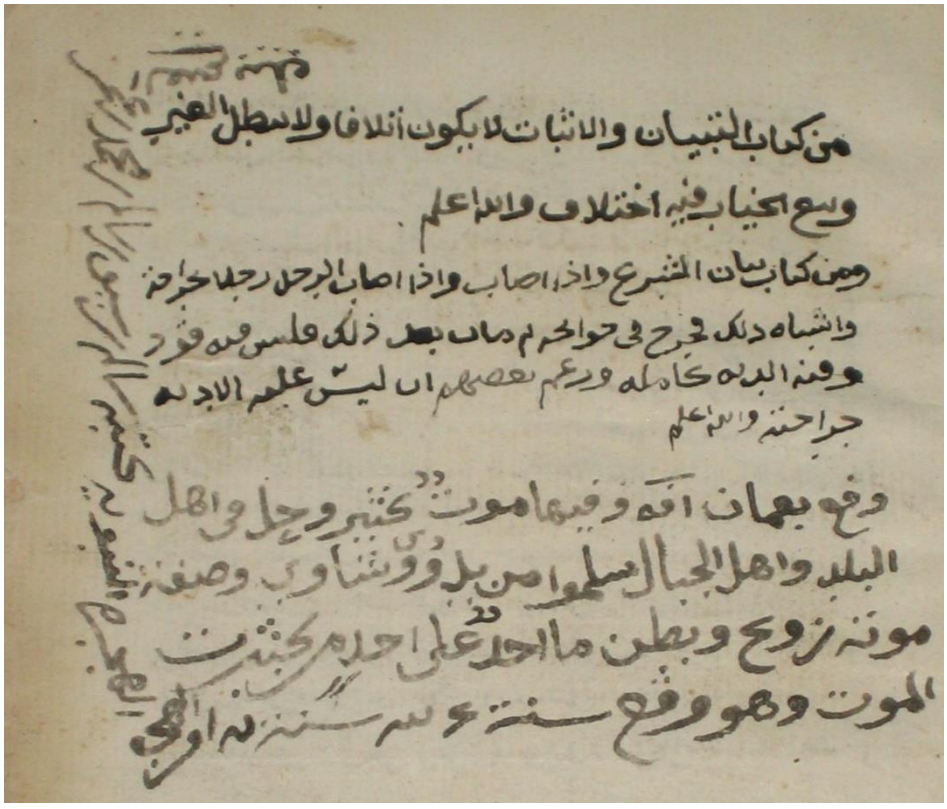

وعبارة الكاتب الأخيرة ذكَّرتْني بما أورده المبرد في (التعازي والمراثي): «قال أبو الحسن في أخبار الطاعون: الذي بلغنا من خبر الطاعون أن الناس

لا يجزعون فيه على موتاهم كجزعهم في غير الطاعون، وذلك لتأسّي الناس بعضهم ببعض، ولما يدخلهم من الخوف، فكل إنسان يخاف على نفسه فيسلو عن الولد والأهل والقرابة»[65].

- **موجة الطاعون أواخر القرن الثالث عشر:**

ثم لا نجد خبرًا عن الطاعون في عمان نحوا من خمسين سنة، سوى ما أشار إليه العبادي في قصيدته الشينية من وقوع طاعون بعمان سنة 1250هـ.

وأرخ العلامة نور الدين السالمي في تحفته وقوعَ طاعون في جعلان بني بو علي في شهر جمادى الأولى – على التقريب – سنة 1285هـ قبيل انعقاد بيعة الإمام عزان بن قيس. قال: «ولم يرتفع عنهم حتى أُخِذَتْ مسكد» في أواخر جمادى الآخرة من السنة نفسها، «ولم يُصِبْ غيرهم من أهل عمان»[66]. وهل هذا الطاعون امتدادٌ للسابق؟ أو هو وباء آخر؟

ومن التقييدات المهمة عن وباء الطاعون بعمان أواخر القرن الثالث عشر الهجري هذا التقييد (في مخطوط الدلائل؛ دار المخطوطات- رقم 1646): «إنا لله وإنا إليه راجعون. قد وقع بأرض عمان ألم الطاعون، وخص في بلد سمد الشان. وتوفي الشيخ المعروف بالفضائل والفضائل موصوف: سعيد بن خلفان بن سهيل السرحاني الزكواني، وكذلك الشخص: سعيد بن

---

[65] **التعازي والمراثي**؛ ص209.

[66] **تحفة الأعيان**؛ للإمام نور الدين السالمي. د. ت. مطبعة الإمام- القاهرة/ مصر. 2/ 193.

علي بن سعيد، وكذلك علي بن سالم بن علي المحسني، وابن عمه خلفان بن حسن، وسالم بن بشير، وسالم بن عبيد بن راشد، وسعيد بن سويلم، وسيف بن عمر بن سيف، وحمودة بن مرشد، وكذلك سلوم بن حماد بن سليم، ومات من جماعتنا الزكاونة تسعون نفسا، وذلك في شهر ربيع الأول سنة 1282هـ. ومات من الورود قدر 40 نفسا، ومن جماعتنا الجهاضم قدر 80 نفسا. والله أعلم.

وتوفي الشيخ محسن بن سعيد بن عبد الله السيابي من الطاعون، وكذلك سعيد بن محمد بن راشد السيابي، وكذلك توفي خلق كثير من جماعتنا السيابيين، وكذلك أهل بلد (بعد) بنو محرز، توفي منهم قدر مئة روح وأربعة، والله أعلم بذلك. والمصيبة العظمى موت مشايخنا وكبرائنا الذين بفضلهم تقوم العباد، وبحمايتهم تنور البلاد من الفساد والظلم والعناد؛ الشخصين: سعيد بن علي بن سعيد، وسعيد بن خلفان. وهذا أمر مقدر. وكذلك حل بموتهم الأمر الفجيع، والحال الفظيع، وتوفي محبنا علي بن سالم بن علي، وسالم بن عبيد بن راشد، وذلك في أول شهر ربيع الأول من شهور سنة 1282هـ. وكتبه المحزون على فراقهم: حمد بن حميد بن خميس الزكواني السمدي، بيده الفانية البالية عن قريب».

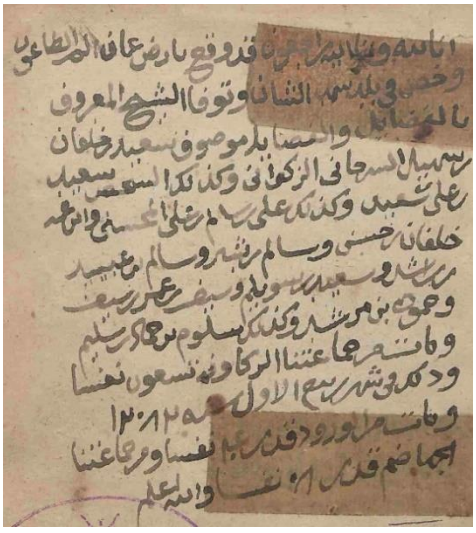

ومن التقييدات أيضا (في مكتبة الشيخ ناصر بن راشد الخروصي؛ برقم 28): «قد خُلِقَ الوَلَدُ حَمَد بن سالِم بن ناصر بن سليمان الكندي ليلة الثلاثاء 1 صفر 1282هـ في السنة التي فيها الطعن. كتبه والده سالم بيده». وهذا الكاتب من أحفاد الشيخ سعيد بن أحمد الكندي صاحب التفسير.

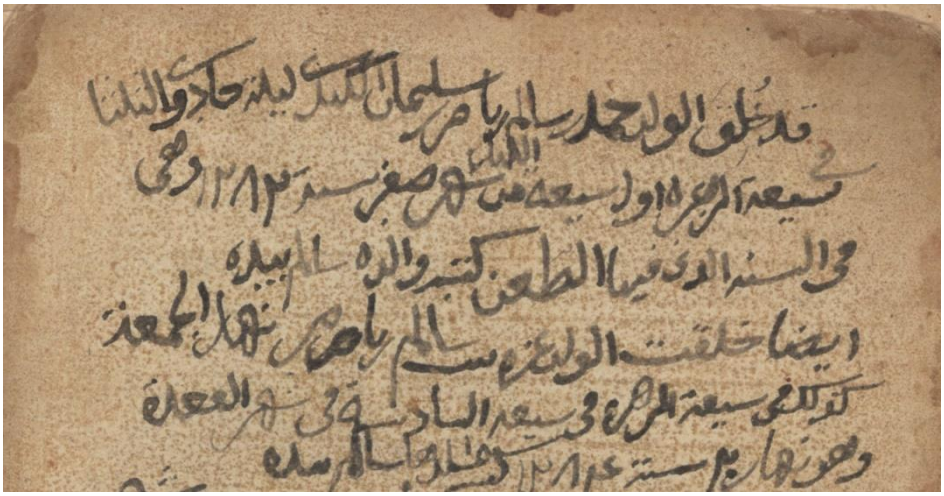

- **الطاعون بعيون الشعراء العمانيين:**

سبق الاستشهاد بقصيدة العبادي في طاعون عام 1236هـ ونقلها ذو الغبراء في (شفاء القلوب)؛ مصدِّقا لما قاله صاحبها من توقُّع عودة موجة الطاعون مرة بعد أخرى، فـ«ترادفت الطواعين ثلاث مرات بعد تلك المرة في عصر واحد» حسب كلام ذي الغبراء.

وللشاعر الشيخ عامر بن سليمان الشعيبي (ت 8 جمادى الآخرة 1326هـ) الشهير بالمطوّع شعرٌ بالعامية في ذكر الطاعون والجدري، ورد في ديوانه تحت عنوان (نشيد الجدري)، وفيه يقول:

ما ترك من ربعنا الأمر انقضى	إلا سعاد البخت وطوال العمار
روّحوا شبان في حسن الشباب	كتّهم ها العوق بُوحَبّ صغار
أصبحوا ميتين بعداد الحساب	من بلدنا غير باقيت الديار
تسعين ليلة بالعدد لي كلهن	ما استراح الهيب ليلة من الحفار
الطعن والجدري جميع تولفن	اللي اتقى اليمنى تعطل باليسار!

ويبدو أنه يشير إلى إحدى موجات الطاعون في القرن الثالث عشر الهجري. ومن المتأخرين قال الشاعر نصير بن ناصر بن صالح البوسعيدي المنحي (ت1375هـ) قصيدة دالية راثيًا فيها السيد سعود بن حمد بن هلال البوسعيدي، والشيخ سليمان بن محمد الكندي؛ اللذين فتك بهما وباء

---

(67) **ديوان الشيخ عامر بن سليمان الشعيبي**؛ تحقيق وتصحيح: محمد بن حمد المسروري. ط2: 1430هـ/ 2009م. وزارة التراث والثقافة/ سلطنة عمان. ص70.

الطاعون سنة 1337هـ وهُما بنزوى[68]. وسيأتي حديثٌ عنهما قريبا بإذن الله.

- **طاعون زنجبار:**

قَيَّد القاضي محيي الدين بن شيخ القحطاني تاريخ نزول الطاعون بزنجبار سنة 1251هـ، واصفًا له أنه «أول طاعون وقع بزنجبار»، في توثيقٍ كتبه إثر وفاة ولده عبد الرحيم صغيرا وهو ابن شهر واحد فقط بسبب الطاعون، في ذي القعدة من تلك السنة (مكتبة السيد محمد بن أحمد؛ برقم 1245).

ودونت سالمة بنت سعيد بن سلطان البوسعيدية (المتوفاة 23 رجب 1342هـ/ 29 فبراير 1924م) في مذكراتها أخبارا عن وباء الكوليرا الذي اجتاح زنجبار، ذاكرةً أن أمها توفيت بسببه سنة 1276هـ/ 1859م، وهي شركسية الأصل، تسمى جيليفدان (Dschilfidan) وكانت من سَرَاري السلطان[69].

---

[68] انظر القصيدة في: **كتاب النمير**؛ جمع وترتيب: محمد بن عبد الله بن سعيد السيفي. دون بيانات النشر. 4/ 156.

[69] راجع مقدمة مذكراتها المنشورة تحت اسم: **الحياة في قصر السلطان** (الطبعة الألمانية 2007م) وعنوانها: Emily Ruete Geb. Prinzessin Salme von Oman und Sansibar: Leben im Sultanspalast. Memoiren aus dem 19. Jahrhundert. Die Hanse. Printed in Germany. Hamburg 2007. (تتضمن هذه الطبعة ترجمة وافية للمؤلفة سالمة بقلم الناشرة: د. أنّجرت نيبّا (Dr. Annegret Nippa). واستعنتُ في ترجمة النص الألماني بالفاضل الأستاذ: خالد العامري).

وتُكثر المصادر الأجنبية من القول أن ممارسة تجارة الرقيق ونقل العبيد عبر البحر في أوضاع غير صحية كان لها أثرٌ في امتداد المرض إلى عُمان، ونَشْر العدوى بها. وأشار بعضها إلى أن السلطان تركي بن سعيد (1287- 1305هـ) مات متأثرا به. وكان للسير جون كيرك Sir John Kirk (المتوفى 1922م) دور في معالجة المصابين بالوباء في زنجبار وما جاورها[70].

- **طاعون 1317هـ بعُمَان:**

ثم لَفَحَتْ عُمانَ لفحةٌ أخرى من موجة هذا الوباء أوائلَ سنة 1317هـ تقريبًا (أواخر القرن التاسع عشر الميلادي)، وانتقل من العاصمة مسقط إلى عامة بلدان عُمان، فهَلَكَ بسببه ناسٌ كثيرون.

ونستفتح حضوره في الذاكرة العُمانية برسالةٍ من سلطان عمان فيصل بن تركي بن سعيد بن سلطان؛ إلى سلطان زنجبار: حمود بن محمد بن سعيد بن سلطان، مؤرخة في الخامس من رجب 1317هـ، يخبره فيها بأحوال عمان أيام نزول هذا الوباء (والرسالة من محفوظات الإرشيف الوطني بزنجبار). وهذا نصُّها:

---

[70] انظر:- Reginald Coupland (1930) 1ed. The Exploitation of East Africa 1856-1890 The Slave trade and the Scramble. والسير جون كيرك: طبيب ودبلوماسي اسكتلندي، مكث في زنجبار نحو ثمانية عشر عاما، ترقى فيها إلى أن وصل إلى رتبة القنصل البريطاني العام.

«بسم الله الرحمن الرحيم. من فيصل بن تركي إلى جناب سيدنا وذخرنا وعزنا المكرم الأجل الأشيم الأمجد المحترم الأخ الحميد: حمود بن محمد بن سعيد؛ حرسه الله تعالى ورعاه، وصانه وحماه إن شاء الله. سلام عليك ورحمة الله وبركاته، وأفضاله وكراماته على الدوام.

الموجب لتحرير[71] رقيمة الود والصَّفَا هو السؤال عن صحة ذاتكم البهية. وإنْ تَحَرَّكَ الخاطر سائلا عن الحال فإننا بحمد الله في حال يجب الشكر عليه.

أعلام طرفنا خير من فضل الله، ولا زاد مما نرفعه إلا انتشار المرض بكل البلدان، أجارنا الله وإياكم شر بلائه. فبعض البلدان ارتفع منها، وبعضها باقٍ، لكن من لطف المولى أغلبه سليم، وقد بلغنا أن خادمك ناصر بن سليمان الخروصي توفاه الله بوادي المعاول، في جملة من قضى الله عليهم. ونسأله – جل وعلا – أن يتداركنا وعباده بلطفه، ويصرف بلاءه.

والمأمول على الدوام تكون[72] كتبك بنا متصلة عن سلامة ذاتكم. ومع ما[73] يبدو لجنابكم من الأوامر نتشرف. وقبل هذا قد تقدَّمَ منا كتابٌ نرجو وصوله وأنتم بغاية السرور. هذا ما لزم بيانه. ولا زلتم محفوظين بعناية

---

[71] في الأصل: لتحري. ولعل الأصوب ما أثبتُّه.

[72] في الأصل: تكن.

[73] في الأصل كُتبت موصولة هكذا: ومعما. ولعل الأصوب: ومهما.

الله. والسلام. يسلمون عليك الأخ محمد بن تركي والولد تيمور. وكتبه خادمكم بأمره: حامد. بيده. 5 رجب 1317.

بتاريخه بحمد الله تعالى ارتفع هذا الوباء من مسكد بحسب الظاهر».

وناصر بن سليمان الخروصي المذكور في الرسالة هو والد الشيخ العلامة سيف بن ناصر بن سليمان الخروصي، صاحب (جامع أركان الإسلام) و(الإرشاد إلى مهمات الاعتقاد) وغيرها من الكتب النافعة، وكان من فرسان دولة الإمام عزان بن قيس البوسعيدي. وبتاريخ الرسالة – كما نَصَّ كاتبها السلطان فيصل – ارتفع الوباء تقريبا عن مسقط.

وغير بعيد عن تاريخها ثمة رسالة أخرى (محفوظة في إرشيف زنجبار أيضا) بعثها: إبراهيم بن محمد بن جمعة بن علي؛ بتاريخ: 20 رجب 1317هـ، إلى السلطان حمود بن محمد بن سعيد بن سلطان، يذكر له فيها بعض الأخبار عن عمان ويقول: «وأخبار الوباء: زال من أكثر نواحي عمان، وبقي في البعض، والآن في جمة قريات والحيل. الله يصرف البلاء. والطرق ممتنعة جدا. وكل شيء متعطل. ربنا يعين». ثم أردف قائلا: «وكل شيء في ضيق. ربنا يلطف بحالنا وجميع المسلمين. أهل عمان الوباء والجدري والمحل والغلاء حالٌّ بهم. كل أزمة أعظم من أختها!».

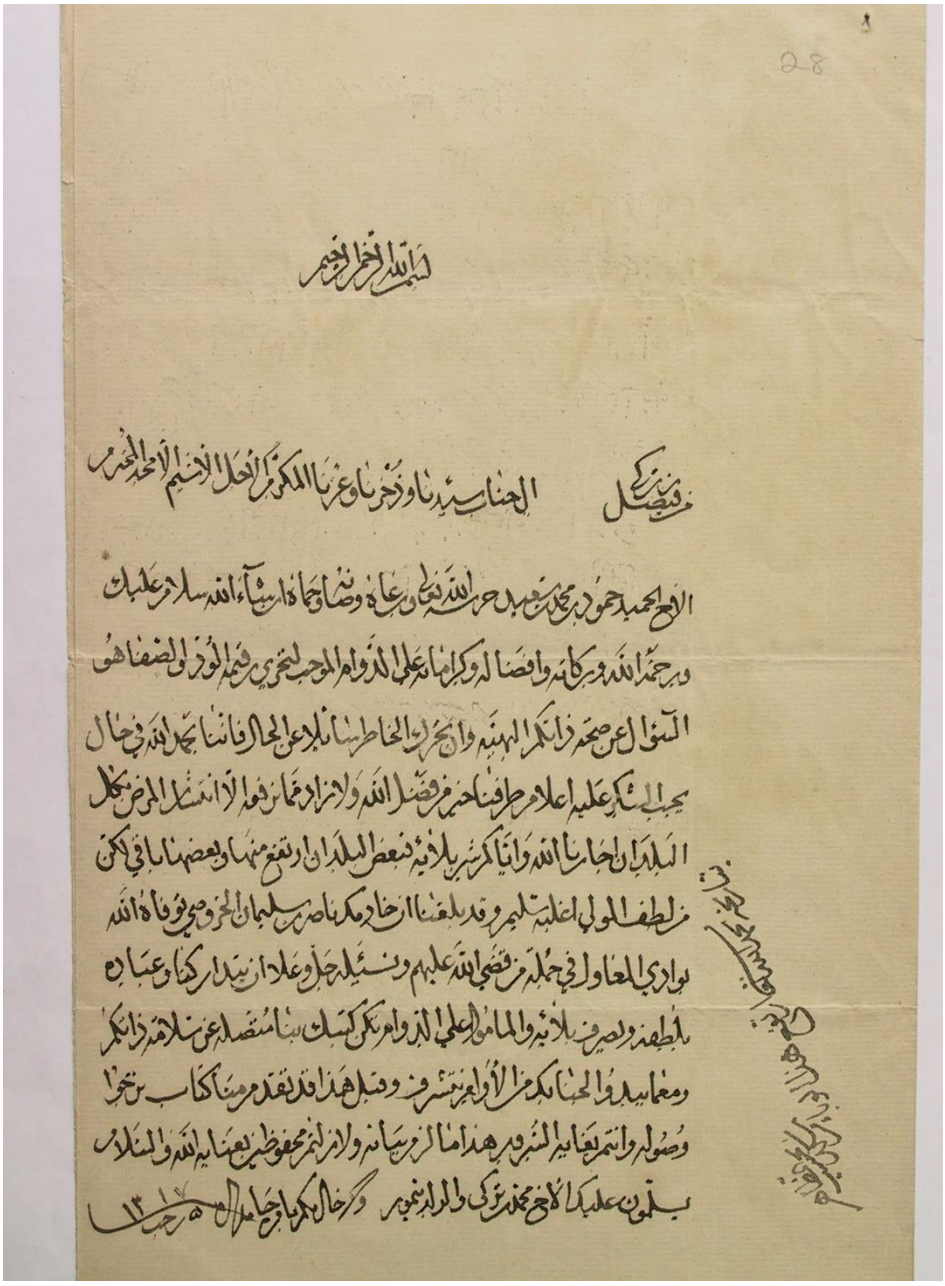

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل ... الجناب سيدنا وذخرنا وعزنا المكرم الأعز الأسنم الأمجد المفخم

الأخ الحميد حمود بن محمد بن عبد الله تعالى رعاه وصانه وحماه إن شاء الله سلام عليك
ورحمة الله وبركاته وأفضاله وكرامته على الدوام الموجب لتحري دفع الوذر والصفا هو
السؤال عن صحة ذاتكم الهنية وأن يحرز الخاطر بها تلا عن الحال فأنا بحمد الله في حال
يجب الشكر عليه على مر الأنفاس حيث من فضل الله ولا زال ممن وقوا الأنفس المرض بكل
البلدان أجارنا الله وإياكم من بلاية بعض البلدان إن وقع منها وبعضها باقي لكن
من لطف المولى على سليم وقد بلغنا أن خادمكم ناصر بن سليمان الخروصي توفاه الله
نوادي المعاول في جملة من قضى الله عليهم ونسئله جل وعلا أن يدار كنا وعباده
بلطفه ويصرف بلاية والمأمول على الدوام منكم كتبكم بنا مستفصلة عن سلامة ذاتكم
ومعاشيد والحنا بكم من الأوامر تشرف وقبل هذا قد تقدم منا كتاب بنحو
وصوله وأتم بعناية الشرور هذا ما الزم بيانه ولازلتم محفوظين بعناية الله والسلام
يسلمون عليكم الأخ محمد بن تركي والوالد نفوه وكرحال كم يا رجا علم الا ٥ رجب ١٣١٧

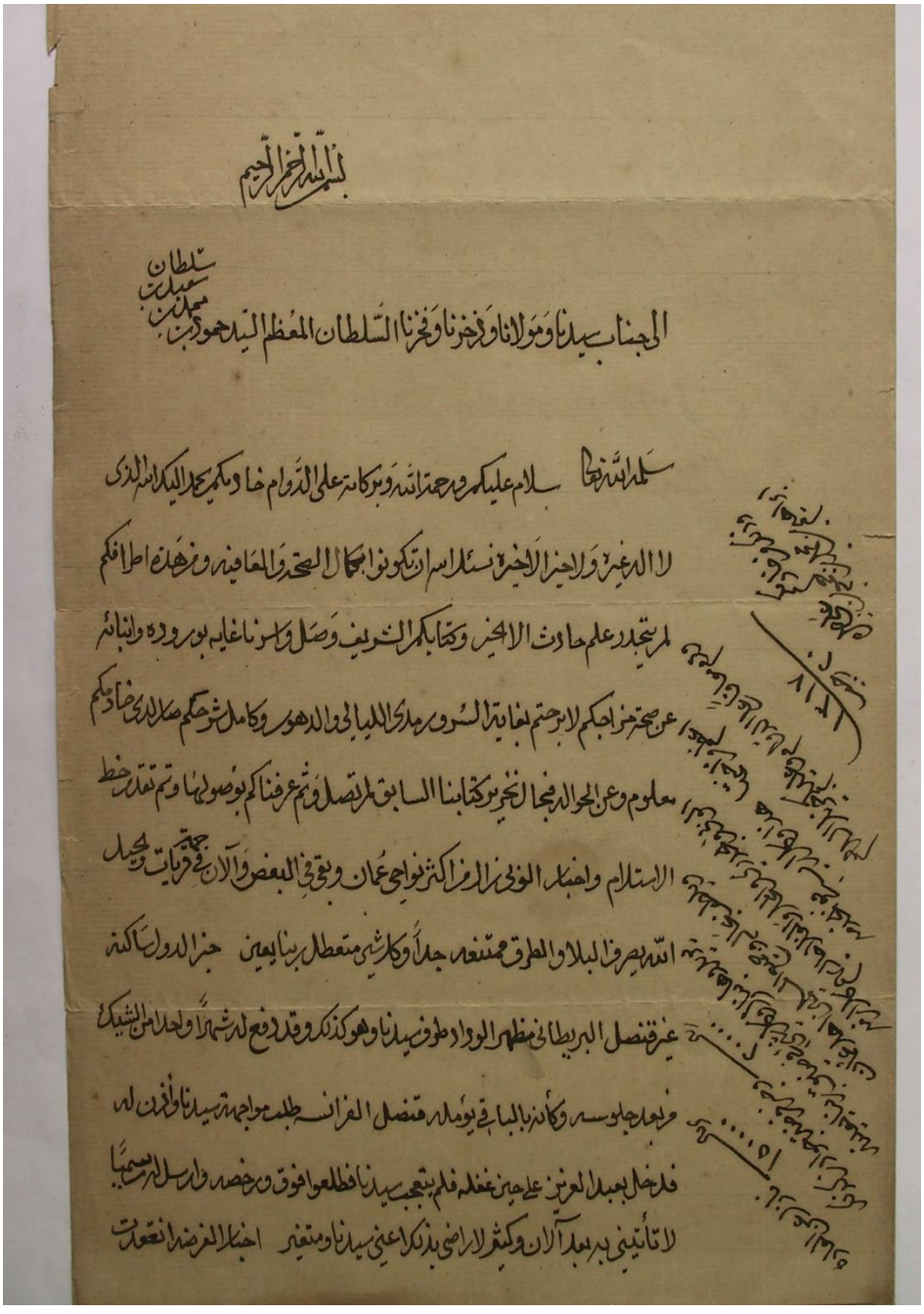

بسم الله الرحمن الرحيم

سلطان سيد بن سلطان ممالك

الى جناب سيدنا ومولانا وفخرنا وفخرنا السلطان المعظم السيد هوود بن

سلمه الله تعالى سلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام خادمكم يحمد اليكم الله الذى
لا اله غيره ولا اخير الاخيرة نسئل الله ان تكونوا بكمال الصحة والعافية وزهدن اطرافكم
لم يتجدد علم حادث الا خير وكتابكم الشريف وصل وسرنا غايه بوروده وابنائه
عن صحة عزاجكم لا برحتم بغاية السرور مدى الليالى والدهور وكامل شوقكم صار لدى خادمكم
معلوم وعن الحوالة فحال تحرير كتابنا السابق لم تصل وثم عرفناكم بوصولها وتم تقدم خط
الاستلام واحبك الوفى زاد اكثر نواحى عمان وبقى فى البعض والان فى ترتيبات وتحصيل
الله يصرف البلاء والطرق ممتنعه جدا وكل شى متعطل بنا بعين جزالدول ساكنه
غير قنصل البريطانى مظهر الوداد طوف سيدنا وهو كذلك وقد دفع له شماً واحداً من الشيك
وبعد جلوسه وكأنه بالباب فى يومه قنصل الفرانسه طلب مواجهة سيدنا وأذن له
فدخل بعبد العزيز على حين غفله فلم يتعجب سيدنا فطلعوا فوق ورخصه وارسل لى رسما
لا تأتينى به بعد الان وكثير الاراضى يذكر اعنى سيدنا ومتغير احبك الغرض انعقدت

ووقفتُ (في إرشيف زنجبار) على رسالة أخرى منقطعة الأول، ولم أعرف كاتبها، ولا تاريخها، غير أن الأحداث التي ذُكرت فيها تشير إلى سنة 1317هـ. وفيها: «خبر المرض عائث. في مطرح أنواع منه حمى إلى يوم ويموت، أو بليت ويذهب، أو جدري، أو نوع من الضرب، وكل يوم 25 إلى 30 نفس. في مسكد أخف، حمى سالمة وبليت. في الحلل الخارجة نادر. في سداب أقل. في روي وبوشر كمطرح. في سمائل حمى وبليت وجدري».

ولم أفهم مراده من كلمة (بليت) ولعله يعني: الانتفاخ (= bloat). أما (حمى سالمة) فالأقرب أنه يعني بها حمى التيفوئيد. وتسمى حمى سالمة أو الحمى السالمة نسبة إلى نوع البكتيريا الذي يسببها (Salmonella typhi)[74].

وقبل تاريخ هذه الرسائل وجدت التقييد التالي (في بطن مخطوط الجزء الثاني من جامع التبيان؛ المحفوظ بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، برقم 432): «تاريخ وفاة والدي حمود بن راشد بن عامر بن سالم الدغاري ليلة عاشر والجمعة من شهر جمادى الآخر من شهور سنة 1317هـ وكانت وفاته في بلد البركة، وسبب ذلك من آفة الطعن – أعاذنا الله والمسلمين منها – وقد ماتوا خلق كثيرة من جميع البلدان من أثر الطعن وحَبّ الجدري، وماتوا من بلد سيق في تلك السنة 36 نفر من نساء ورجال. ونحن على إثرهم

---

[74] انظر: مجموعة باحثين: **الموسوعة العربية**. ط1: 2003م. هيئة الموسوعة العربية– دمشق/ الجمهورية العربية السورية. المجلد السابع/ ص249.

لاحقون. إنا لله وإنا إليه راجعون. وكتبه الحقير إلى الله تعالى: ولده عبد الله بن محمد بن راشد الدغاري بيده».

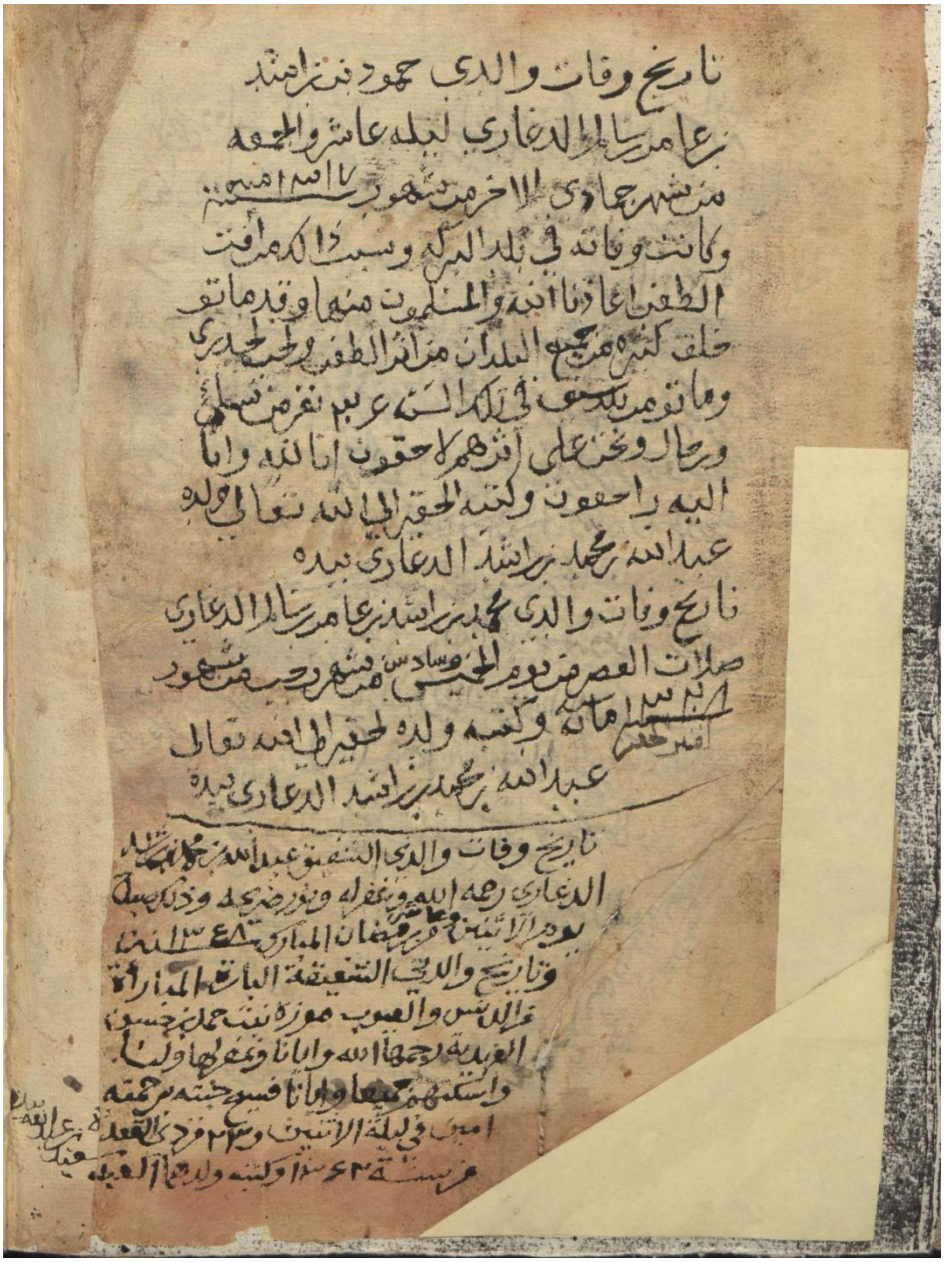

وفي تتمة تحفة الأعيان يقول الكاتب: «وأما جَعْلان بني بُحَسَن فقد صار أمرُها إلى أكابرها، حتى نزل بِهِم جُدريٌّ وطاعون في سنة سبع عشرة وثلاث مئةٍ وألف، فخافوا المَوت واتفقت كلمتهم على الأمر بالمَعروف والنهي عن المُنكر في بلادهم، وخرجوا إلى مُصَلَّى عيدِهم واستغاثوا.

واتفقوا إلى رجل من أفاضلهم وهو من شيوخهم يقال لَهُ سعيد بن سالم بن محمد، وهو أفضل أهل بلده على الإطلاق، فطلبوا منه أن يكون أميرًا عليهم يأمر بالمَعروف وينهى عن المنكر، فامتنع، فشدَّدُوا عليه في ذلك، ولَمْ يَجْعلوا لَهُ عُذرًا، وخوّفوه عقوبة الله إنْ ضَيَّعَ الأمر والنهي مع القدرة عليه، فقبل منهم فأعطوه عهودهم ومواثيقهم، فقام فيهم وأمَرَ ونَهَى وتصلَّبَ واشتدَّ على أهل المناكر، فاجتمعت كلمتهم وقويت شوكتهم وخافهم عدوُّهم»[75].

[75] ظفرت بهذه التتمة مخطوطة في 11 صفحة، في آخر إحدى نُسَخ **الجزء الثاني من تحفة الأعيان** المحفوظة بدار المخطوطات، ورقمها (1871) ، وهي بخط سيف بن سعيد بن عامر الحبسي، مؤرخة في 10 ذي القعدة 1342 هـ، ولم أجدها مثبتة في نسخة غيرها. ويغلب على ظني أنها مسودة من إملاء الإمام نور الدين السالمي؛ لقرائن عدة، ليس هذا محل ذكرها.

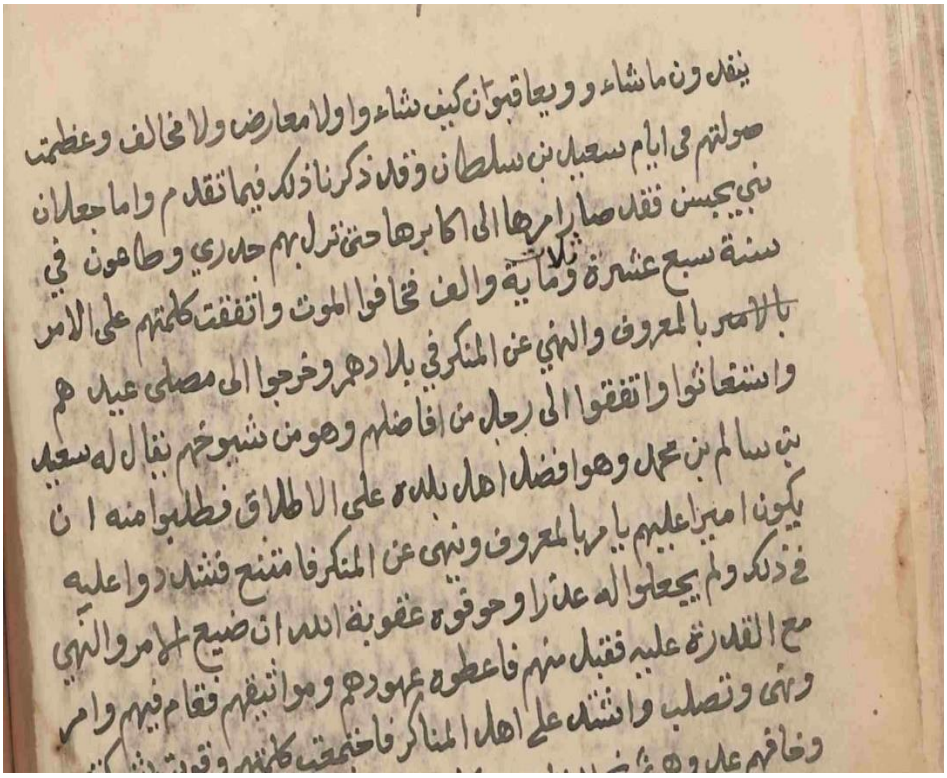

- **الحجة الواضحة في رد التلفيقات الفاضحة:**

أقام أهلُ المضيبي حراسا على طرقات البلدة، للحدّ من حركة الداخل إليها والخارج منها، تجنبا لإصابة المنطقة، وكان ذلك بعد تشاور بين أعيانها، وفي حضرتهم الشيخان: الفقيه مسعود بن علي بن سعيد بن سالم بن خميس بن مسعود بن علي بن حمد الطوقي (المتوفى في 8 ربيع الآخر 1344هـ) والشاعر: محمد بن شيخان السالمي (ت1346هـ).

وأثارت هذه الواقعة سجالا طويلا بين الإمام السالمي وابن عمه الشاعر محمد بن شيخان، كان من آثاره: تأليف نور الدين السالمي كتابه:

(الحجّة الواضحة في ردّ التلفيقات الفاضحة)؛ الذي فرغ من تسويده في 3 رمضان 1317هـ[76]. وهو في مجمله يدور حول قضايا الاجتهاد وشروط من يتأهل للإفتاء، وإنما كانت مسألة الطاعون سببا في إنشائه.

وفي (الحجة الواضحة) إشارة إلى وفاة الشيخ سليمان بن مؤمن الحارثي متأثرا بالطاعون، بعد خروجه من سمد الشأن إلى سرور.

وأيًّا كانت نتيجة السجال لا ريب أننا أفدنا منه فوائد جمة، فقد استثارت القضية أقلام العلماء فسجلوا آراءهم حولها، فقد حرص ابن شيخان على مراسلة العلامة الجزائري الميزابي قطب الأئمة امحمد بن يوسف اطفيش (ت1332هـ) للاستنارة برأيه، فأجابه القطب: «الحمد لله وحده، والصلاة على رسول الله وآله وصحبه. أما بعد؛ فسلام على الشيخ محمد بن شيخان من امحمد اطفيش قائلا: اعلم - رحمك الله - أن الفرار من الطاعون هو المحرم، وأما الحذر منه ومن مظانه فهو أمر شرعي، ولو لم يتيقن بوجود المحذور...». وللقطب جوابات أخرى على سؤالات ابن شيخان في القضية، منها جواب على سؤال مؤرخ في شعبان 1317هـ(مجموع مخطوط بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي؛ رقم 237).

وَوَجَّهَ الشيخ محمد بن سليمان البوسعيدي سؤالا نظميا للشيخ العلامة أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي (ت1324هـ) عن حماية البلد من الطاعون

---

[76] تجده ملحقا بمخطوط **شرح الشذور** للإمام القطب امحمد بن يوسف اطفيش، ضمن مخطوطات خزانة الشيخ سالم بن حمد الحارثي. وله نسخ مخطوطة أخرى عديدة.

بمنع القادم إليها من الدخول، فمال الشيخ إلى تصويب ذلك، ثم حكى رفيعةً رفعها إليه الأديب أبو وسيم خميس بن سليم الإزكوي عن والده العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي (ت1287هـ)؛ أنه استحب الحَجْر وصَوَّبه (مجموع مخطوط بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي؛ رقم 238). قال الشيخ أحمد بن سعيد في آخر جوابه:

من بعد ذاك أفادنا فيها خميسٌ واحتسبْ
وأبو وسيمٍ عندنا ثقةٌ أمين منتخب
برفيعة عن والدي حينَ الوَبَا بِعُمَانَ دَبّْ
رفعوا له عن بلدة منعت، فصَوَّبَ واستحب
والحمد للمولى على نيل الصواب كما وهب

وفي جوابات الإمام نور الدين السالمي نوازل فقهية كثيرة متعلقة بواقعة الطاعون هذه[77].

[77] انظر: **العقد الثمين نماذج من فتاوى نور الدين**؛ جمعها ورتبها: سالم بن حمد بن سليمان الحارثي. ط1: 1394هـ/ 1974م. مطابع دار الشعب- القاهرة/ مصر. 1/ 483.

فهرست الحجة الواضحة في رد التلفيقات الفاضحة
الكلام في سبب تأليف هذه الرسالة
الكلام في بيان فساد ما علل به المعترض الى علل
الكلام في اطلاق اسم عالم على كل مسلم وفي بيان العالم بالمعنى
الكلام في العالم الذي له ان يجتهد نظره ويقول
برائه في المسائل الاجتهادية وفي صفة من يكون عالما بالمسئلة
الكلام في بيان ما يحسنه هذا الرجل المستصرله من
العلوم وما لا يحسنه وفي بعض صفاته
الكلام في جواز ان يصف العالم نفسه بالعلم اذا
صح قصده واذ ذلك من التحدث بالنعمة لا تزكية للنفس
الكلام في ان العالم الواحد من المسلمين حجة على جميع من
دونه من العلماء والضعفاء من المسلمين وعلى جميع المخالفين
الكلام في حكم المسئلة التي سماها المعترض بمسئلة الانتصار
وهي مسئلة قطع السيل عن المضيبي فرارا من الطاعون
الكلام في تحريم الفتوى بغير علم وفي ادلة ذلك من الكتاب
والسنة والاثر
الكلام في تسمية الصواب بالغلط وفي حكم من سمع اخاه

الكلام في صفة الثقة
الكلام في التجسس عن عورات الناس وان ذلك كبيرة
الكلام فيما يؤدي اليه اعتقاد الجاهل انه عالم
الكلام في بيان المشبهة المجسمة وفي حكم الخيلاء
الكلام في حكم الاستحقاق بالعلماء
خاتمة الرسالة في الرد عن ابي سعيد رضي الله عنه وفي الحديث
تمت فهرست الحجة الواضحة في رد التلفيقات
الفاضحة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى جميع المومنين

الحجة الواضحة في رد التلفيقات الفاضحة
تاليف شيخنا النحرير الفاضل عبد الله
رحمه السالمي متعنا
بحياته امين

حكى الزمخشري رحمه الله قيل لبعض العلماء فيم لم تكن فقال في حجج تتخذ
اتضاحا وفي تشهية تتضاءل انقطاعا قال الله اذن

- **الرحلات الحجازية والأوبئة:**

من النصوص التي قيدت وفاة بعض العمانيين خارج المحيط العماني ما ورد في مخطوط مجموعٍ في علوم الأسرار للشيخ ناصر بن جاعد الخروصي وغيره. إذ نرى في آخر صفحة من المخطوط تملُّكًا باسم «سليمان بن شويمس بن حمودة المذكوري» بيده؛ بتاريخ 13 شوال 1316هـ. وبعده بخط آخر: «قد توفي الأخ سليمان بن شويمس بن حمودة المذكوري في شهر ذي القعدة بموضع النخل من الجحفة، وهي رابغ، راجعا من الزيارة، فاصطاب من الطعن، فتولينا جنازته، وذلك في أول الظهر. وكتبه الفقير أخوه الغريق في بحار الذنوب: زاهر بن محمد بن سعيد بن محمد بن أحمد بن سالم... الإسماعيلي، بيده. 10 صفر 1321هـ»[78].

ويلاحظ هنا تعبير الكاتب بـ «الطعن»، وهو تعبير شاع استعماله عند العمانيين في معنى الإصابة بالطاعون. وكاتب النص (وهو زاهر بن محمد بن سعيد الإسماعيلي) شاهد عيان على الحادثة التي وقعت في رابغ؛ عند ميقات الجحفة، في طريق العودة من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، قبل أداء مناسك الحج، فيما يبدو. وتاريخها في ذي القعدة 1320هـ، حسب المفهوم

---

[78] مخطوط بعنوان «**الفيض الرحماني في العلم الروحاني**» للشيخ ناصر بن جاعد الخروصي. بخط: سعيد بن محمد بن سعيد الإسماعيلي. منسوخ بتاريخ: 2 رجب 1310هـ في زنجبار (محفوظ في الإرشيف الزنجباري، برقم 107).

من سياق النص. والمتوفى (سليمان بن شويمس المذكوري) معدود من النساخ المشهورين بالباطنة[79].

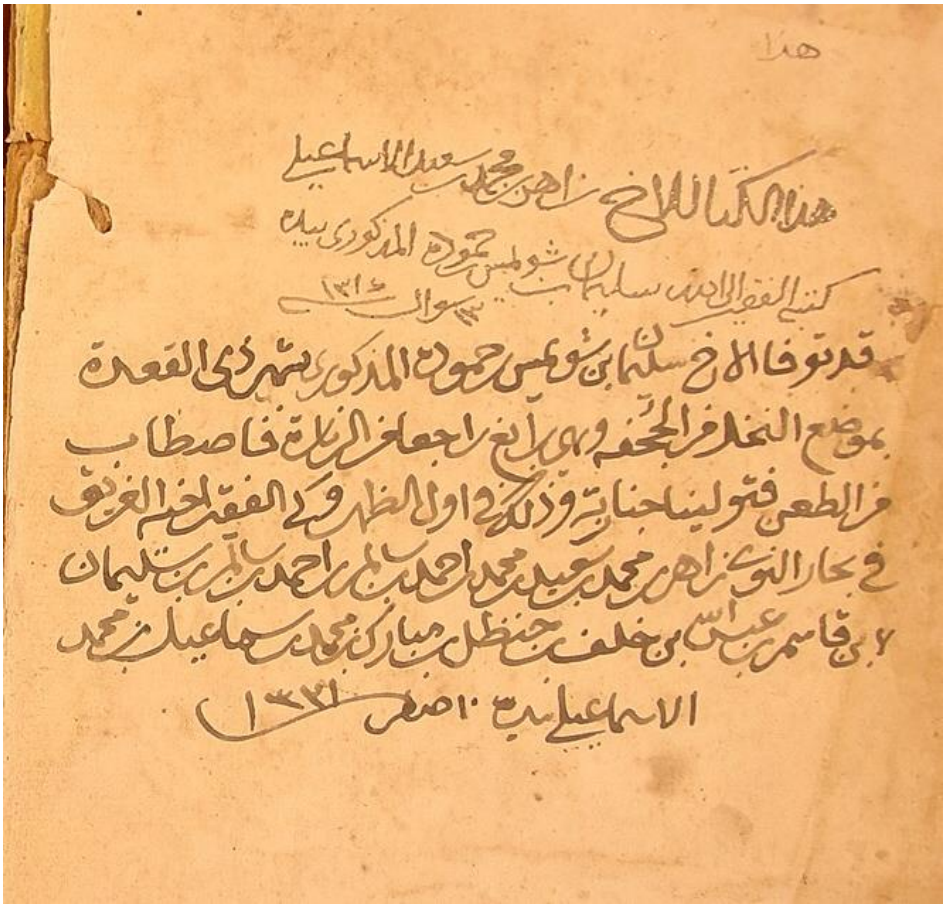

[79] أفادني الباحث فهد بن علي السعدي بتقييد ينص على وفاة المذكوري بتاريخ 23 ذي القعدة 1319 هـ (ضمن مخطوط الجزء الثالث والستين من قاموس الشريعة؛ في دار المخطوطات برقم 908). وهذا يعني أن الإسماعيلي قيَّد خبر الوفاة بعد وقوعه بمدة، أو أنه أراد أن يكتب سنة 1320 هـ في تقييده، فسبق قلمه وكتب 1321 هـ. وراجع للاستزادة ترجمة المذكوري في: **التأريخ السياسي والعلمي للسويق والمصنعة**؛ إعداد: فهد بن علي بن هاشل السعدي. ط1: 1436 هـ/ 2015م. ذاكرة عمان- مسقط/ سلطنة عمان. 7/ 664.

وقد تضاعفت مشاق الحج بظهور بعض الأوبئة والأمراض المعدية، التي حصدت أرواح كثير من الحجاج، فتوفي - مثلا - الشيخ سعيد بن حمد الراشدي سنة 1314هـ/ 1897م في ميناء مطرح بعد إصابته بالجدري وهو قاصد الحج، وتوفي الشيخ سعيد بن صالح بن راشد العبري بجدة بتاريخ 9 شوال 1340هـ/ 5 يونيو 1922م، وتوفي الناسخ سليمان بن ماجد الحضرمي الفرقي سنة 1379هـ/ 1959م قرب الرياض.

- **الوباء بين التفشي والانحسار:**

يُفهم من تقييدات العمانيين أن الوباء يرتفع حينا ويعود بعد زمن، ويخف آنا ويشتد آنا آخر. وربما كانت تنقلات المسافرين سببا في ذلك.

فمن تقييدات عام 1317هـ: ما كتبه سليمان بن شويمس المذكوري – المذكور آنفا – في أول مخطوط الجزء الثالث والسبعين من قاموس الشريعة (مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي؛ رقم 73/ 3): «في سنة 1317هـ: ألَمُ الجدري عمّ جميع قرى عُمان، وأكثره في أرض الباطنة، ومات منه خلقٌ لا يُحصي عددَهم إلا الذي خلقهم، ووقوع هذا الألم – أعني الجدري – من سنتين قبل هذه السنة، وفي هذه السنة أكثر».

ومن تقييدات عام 1319هـ(ضمن مجموع بدار المخطوطات؛ رقم ٥٢٨١): «تاريخ يوم استوى الطعن الثاني سنة تساتعشر وثلاث مئة بعد الألف، وماتوا فيه من بلد الغبرة الطام ستين نفر، ومن بلد الولجة خمسين نفر، ومات فيه حمد بن سالم بن سليم بن سيف بن عدي بن سرحان

السيابي، كتبه الفقير لله تعالى: مسعود بن سالم بن سليم بن سيف بن عدي بن سرحان السيابي».

ونقرأ التقييد التالي في ظهرية مخطوط كتاب (النور) للشيخ الأصم (المحفوظ بدار المخطوطات برقم 2434): «قد حلت الرحلة في عمان من ألم الطاعون، وغابوا خلق كثيرة لا يحصي عددهم أحدٌ إلا الله. تاريخه يوم 29 جمادى الأول سنة 1322. كتبه الفقير سعيد بن ناصر بيده».

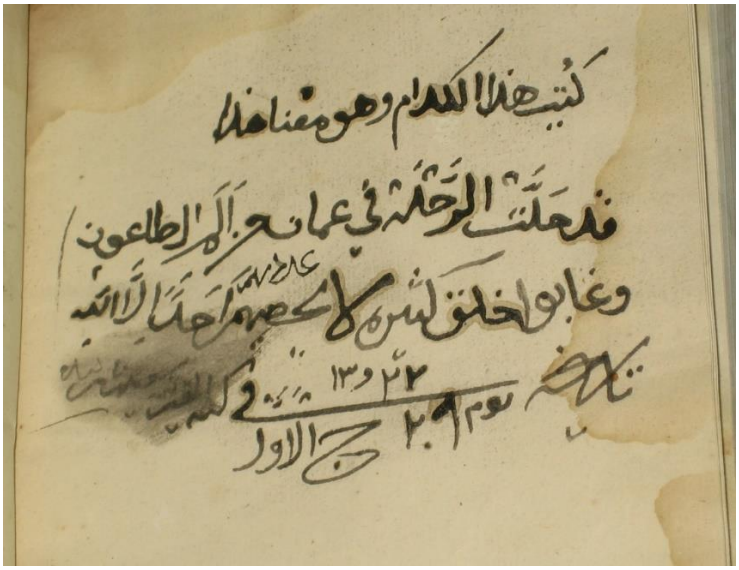

وكتب الشيخ راشد بن سليم بن سالم الغيثي (ت1327هـ) رسالة من زنجبار إلى الشيخ هلال بن عامر بن سلطان الحارثي (ت1341هـ) في عمان؛ بتاريخ 25 شوال 1323هـ (خزانة خاصة) يذكر له فيها أخباره، ومنها قوله: «ومن طرفنا هذا لم يحدث علم نحب رفعه إليك إلا ما بلغكم من ألم الوباء، وفي هذه الأيام بفضل الله ارتفع، والحمد لله على كل حال».

وقَيَّدَتْ بعضُ الأبحاث المعاصرة رواية شفهية عن نزول الطاعون بالعوابي سنة 1327هـ، ووفاة نحو 317 نفسا فيها خلال ثلاثة أيام فقط[80].

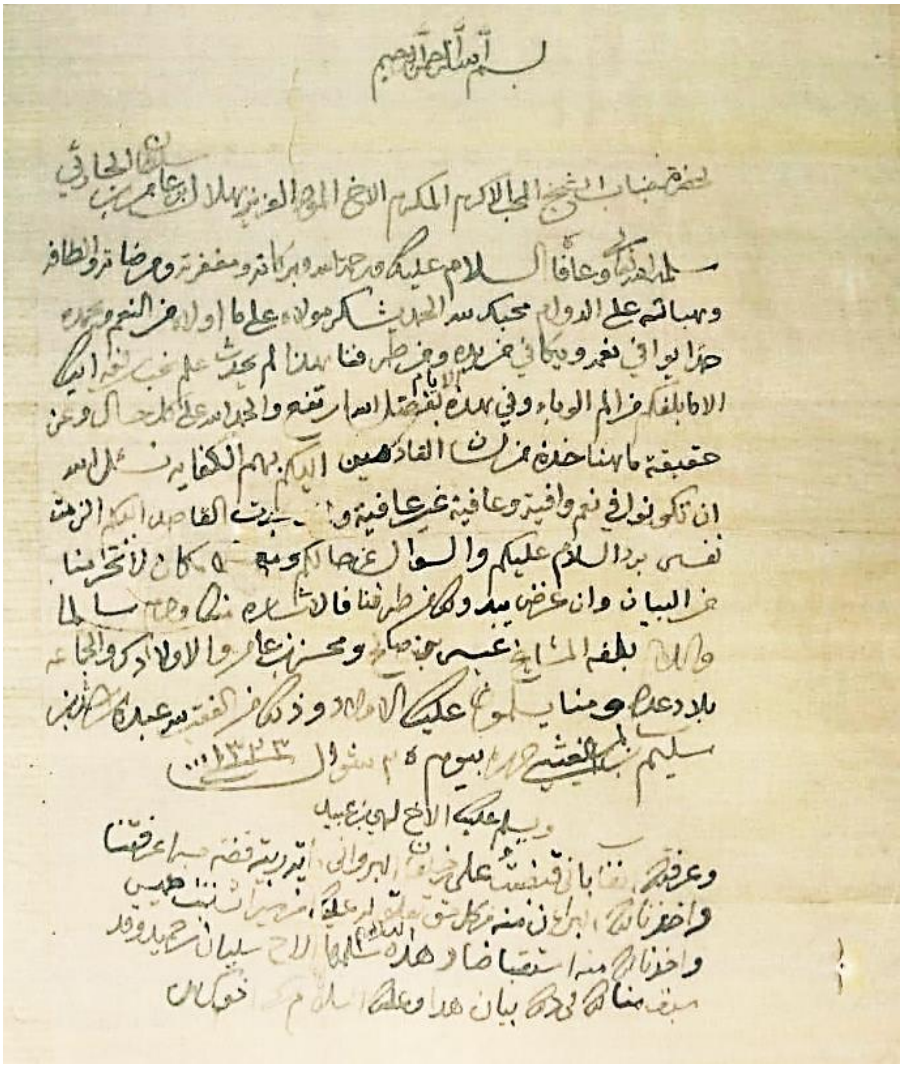

[80] الرواية قيدها الباحث: عبد العزيز بن يحيى بن سالم بن راشد الخروصي، من مقابلة شخصية مع الأستاذ عباس بن مالك الخروصي؛ روايةً عن منصور بن محمد الخروصي، أحد المعاصرين للواقعة.

- **أزمة الأعلام الفرنسية والطاعون:**

يعود زمان رفع السفن العمانية للأعلام الفرنسية إلى عام 1845م (= 1261هـ) عندما أصدرت السلطات الفرنسية في مدغشقر تصريحا لإحدى السفن العمانية برفع العلم الفرنسي، ما يمنحها الامتيازات نفسها التي يتمتع بها الفرنسيون في مسقط، وأهمها ممارسة التجارة بحُرّية دون تفتيش.

انتهزت السلطات البريطانية فرصة انتشار وباء الكوليرا في مسقط في عام 1321هـ/ 1903م فوضعت المركز الطبي تحت إدارة طبيب الوكالة البريطانية، وأعطت الوكالة حق تنظيم حركة السفن العمانية وتفتيشها، وفي 10محرم 1321هـ/ 8 أبريل 1903م وصل خمسة عمانيين كان ثلاثة منهم تحت الحماية الفرنسية على سفينة البريد الهندية فاحتُجزوا، لكنهم ما لبثوا أن هربوا، إلا أن السلطات البريطانية تمكنت من القبض عليهم بعد ذلك.

وأثار هذا الحادث مشكلة بين لندن وباريس فأرسلت البارجة الفرنسية إنفرنت (Infernet) إلى مسقط برقية عاجلة بتاريخ 11 مايو 1903م يطلب قائدها فيها إطلاق الرعايا الفرنسيين، مهددا باستعمال القوة، واستمرت المفاوضات حتى 25 مايو 1903م عندما وافقت السلطات البريطانية على إطلاق سراح المحجوزين، وأحيلت قضية الأعلام الفرنسية إلى محكمة العدل الدولية للتحكيم[81].

---

[81] **الموسوعة العمانية**؛ بقلم: عدد من الباحثين. ط1: 1434هـ/ 2013م. وزارة التراث والثقافة/ سلطنة عمان. مج1/ ص167. وانظر للاستزادة: **وقائع ندوة لمحات تاريخية وثقافية بين عمان وفرنسا** (المنعقدة بجامعة

- **بهلا والطاعون:**

عم الوباء بلدان عمان عامة دون استثناء، وتفاوتت مدونات العمانيين عنه بين موجز ومسهب. ومما حدثني به الشيخ أحمد بن حمد الخليلي عن جده القاضي سليمان بن ناصر الخليلي أنه كان ورعا شديدا في ذات الله تعالى، يقارع أهل الظلم والفساد ولا يخشى في الله لومة لائم، كما كان مرجعا لأهل بهلا، يحكّمونه فيما شجر بينهم ويسلمون له ويرضون بحكمه.

«فعندما وقع الطاعون ببهلا - وقد بدأ بابنه وأخذ يحصد الناس - جاءوا يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات، يترجون أن يخرج بهم للصلاة عسى الله أن يرفع عنهم البلاء ويكشف الضراء. فأجابهم – متعجبا – برباطة جأش وثبات جنان: كيف أخرج بكم لدفع البلاء وأنتم مصدر البلاء كله؟ فظُلْمُكم وجوركم هو سبب البلاء. قالوا: إنا تائبون راجعون إلى الله. فأجابهم: كيف تتوبون؟ وهذه ضرائبكم أرهقت الناس وأثقلت كواهلهم؟ فقالوا: نتوقف عنها ونعفي الناس منها. فتوّبهم وخرج إلى المصلى وصلى بالناس، ودعا وتضرع فرفع الله البلاء. وكان الشيخ - رحمه الله - آخر مَن حصدهم الطاعون»[82].

السلطان قابوس 30 – 31 أكتوبر 1994م). إصدار: وزارة التراث القومي والثقافة، وجامعة السلطان قابوس، وسفارة فرنسا– مسقط/ سلطنة عمان.

[82] سمعتها مرارا من لسان الشيخ، واستحسنتُ نقلها من عبارة الشيخ زايد بن سليمان الجهضمي؛ في كتابه: **من معالم الفكر التربوي عند الشيخ أحمد بن حمد الخليلي**. ط1: 1424هـ/ 2003م. مطابع النهضة– مسقط/ سلطنة عمان. 1/ 20.

وحدثني الشيخ أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي أن الطاعون حصد من (الخضراء) وحدها – وهي محلة من محلات بهلا – نحوا من سبعين نفسا أو يزيدون، أوَّلُهم عمُّه: ناصر بن سليمان الخليلي، وآخرهم جدُّه سليمان بن ناصر الخليلي؛ المتوفى سنة 1328هـ.

- **طاعون عام 1337هـ:**

كانت موجة عام 1337هـآخر موجات الوباء العام الذي اجتاح عمان وأباد عددا غير يسير من أهلها، وفيهم جماعة من الأفاضل والعلماء. وفي هذه الموجة الأخيرة توفي السيد الفاضل المقدام سعود بن حمد بن هلال البوسعيدي؛ أحد أقوى أركان دولة الإمام سالم بن راشد الخروصي. وتوفي الشيخ القاضي الزاهد سليمان بن محمد بن أحمد الكندي؛ صاحب (بداية الإمداد على غاية المراد) وغيرها من المؤلفات النافعة، وهو لمّا يبلغ الأربعين من عمره، كانت وفاتهما في ليلة واحدة، وفُجع المسلمون بهما.

ورد في بعض التقييدات على مخطوط بداية الإمداد (رقم 2664؛ دار المخطوطات) ما نصُّه: «قد توفي الشيخ العلامة الرضي الزاهد الفاضل علامة عصره والدنا الورع سليمان بن محمد بن أحمد الكندي ليلة 13 صفر 1337هـ ببلد نزوى، ودفن في الحذفة من نزوى نهارا، وكان يومئذ قاضيا عند سيدنا إمام المسلمين الولي سالم بن راشد الخروصي، وكان سبب وفاته بألم الطعن الذي ابتلى الله به عباده، وفي تلك الليلة توفي السيد المجيد الزاهد سعود بن حمد بن هلال البوسعيدي بنزوى أيضا، وكان يومئذ واليا عادلا في

حكمه عند إمام المسلمين سالم، ودفن في المقبرة المحدوثة من نزوى. رضي الله عنهما وعن الإمام. رحمة الله عليهما، وأسكنهما الله فراديس جنته. وكتبه العبد الفقير علي بن سليمان بن سعيد الكندي بيده، بأمر الأخ العزيز سعود بن سليمان بن محمد الكندي. وكان تحريره يوم 22 جمادى الآخرة سنة 1351هـ ببوشر ببيت المَقْحَم من عصر سيدنا ووالدنا قطب الأئمة بقية السلف الصالح الشيخ سعيد بن ناصر بن عبد الله الكندي، نفع الله به المسلمين، وبارك الله في حياته، ومتعنا الله والمسلمين به. آمين».

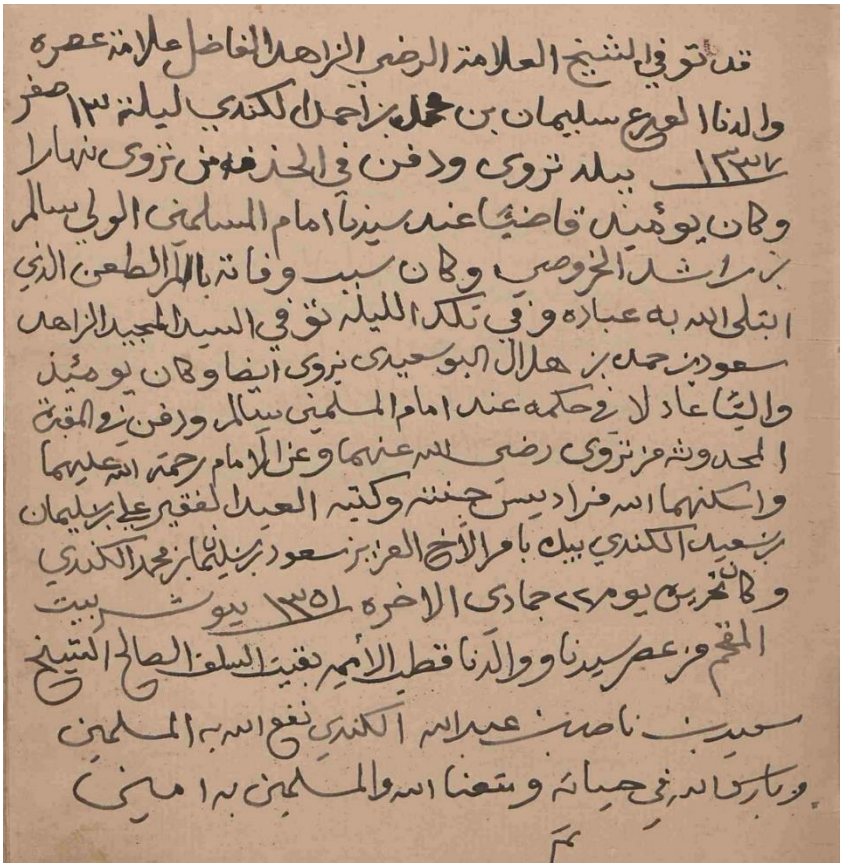

ومن رسائل العمانيين المحفوظة في هذه الواقعة: هذه الرسالة (في خزانة أحفاد الشيخ محمد بن ذياب الشهومي) ونصُّها: «بسم الله الرحمن الرحيم

من سالم بن سيف اللمكي بيده؛ لجناب الشيخ المحب الأكرم المكرم الأحشم المود الأخ: محمد بن ذياب الشهومي. سلمه مولاه مما ابتلاه، ونجاه مما يخافه ويخشاه.

سلام عليكم. وإني أحمد المولى على السراء والبلوى. لا زلت أنت في خير مأوى، ملازما أهل التقوى. محبك والآل في نعمة من ذي الجلال، والحمد لله على كل حال، حين سلمنا من هذا البلاء والوبال. وهذه الأسقام قدرها الله على الأنام؛ تنبيها للعاقل، ونكالا للظالم الجاهل. وهذا الأمر قد عم وطم على جميع الديار، في جميع الأقطار، على الطائعين له والفجار.

وقد تواترت الأخبار أن الذين فاتوا من بلد نزوى فوق ستمئة نفس، فيهم السيد: سعود، وسليمان بن محمد بن أحمد القاضي الكندي، وجملة من المعروفين وغير المعروفين. وعلى هذا السبيل كل بلاد غاب منها على قدرها. الله المستعان. فعلينا له التفويض، ونسلم الأمر إلى من بيده الأمر كله، وما دافعه عنا فهو أعظم.

وهذه الرستاق قد ماتوا منها ما أقل من ثلاثمئة نفس. الله أعلم. وقيل إن الباطنة قد احتشرت، قد ماتوا منها أكابرها ومعهم عدد، لا يحصيهم إلا الواحد الأحد. إنا لله وإنا إليه راجعون.

ولا تقطعنا البيان مع الإمكان. وعليك جزيل السلام. سلم لنا على أصحابك ومن شئت، كما من هنا الأولاد وجماعة المسجد. جرى في يوم 17 من شهر ربيع الأول سنة 1337 وكتبه سالم بن سيف اللمكي بيده».

ومن التقييدات على المخطوطات: تقييد على مخطوط الجزء التاسع عشر من قاموس الشريعة (خزانة بدر بن سيف الراجحي؛ رقم16) جاء فيه: «تاريخ يوم مر علينا الطعن – نعوذ بالله من شره – في سنة 1337هـ، وغابوا من بلد الباطنة خلقٌ لا يحصي عددهم إلا الله، ومن الحجر كذلك، وهو في شهر صفر 1337هـ. ومن أهل الحيملي 27 نفر من صغير وكبير، ذكر أو أنثى. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». ويليه تقييد آخر في موضوعه يقول: «يوم تاريخ رحلة صفر حل بالباطنة فناءٌ عظيم من كثرة الأموات. القادر على جنازة يحملها. وأما أهل الجبال من عمان ماتوا كثير. لكن مثل الباطنة فلا. وذلك في صفر سنة 1337هـ. كتبه سويعد بن راشد بن محمد بن بديو بن العامري، بيده الفانية عن قريب».

ومن رسائل العمانيين أيضا في هذا السياق: رسالة كتبها خلف بن سنان العلوي (من يَنْقُل) إلى سعيد بن محمد بن سليمان الغافري (في العينين) وكلاهما من أهل الظاهرة، وذلك بتاريخ: حادي ربيع الأول 1337هـ(من خزانة الشيخ حمد بن علي بن سعيد الغافري)؛ يطمئنه فيها على أحوال بلاده، ويذكر الموت الحاصل فيها بسبب الطاعون، ويلتمس منه الكتابة إليه ليعرّفه بأخباره.

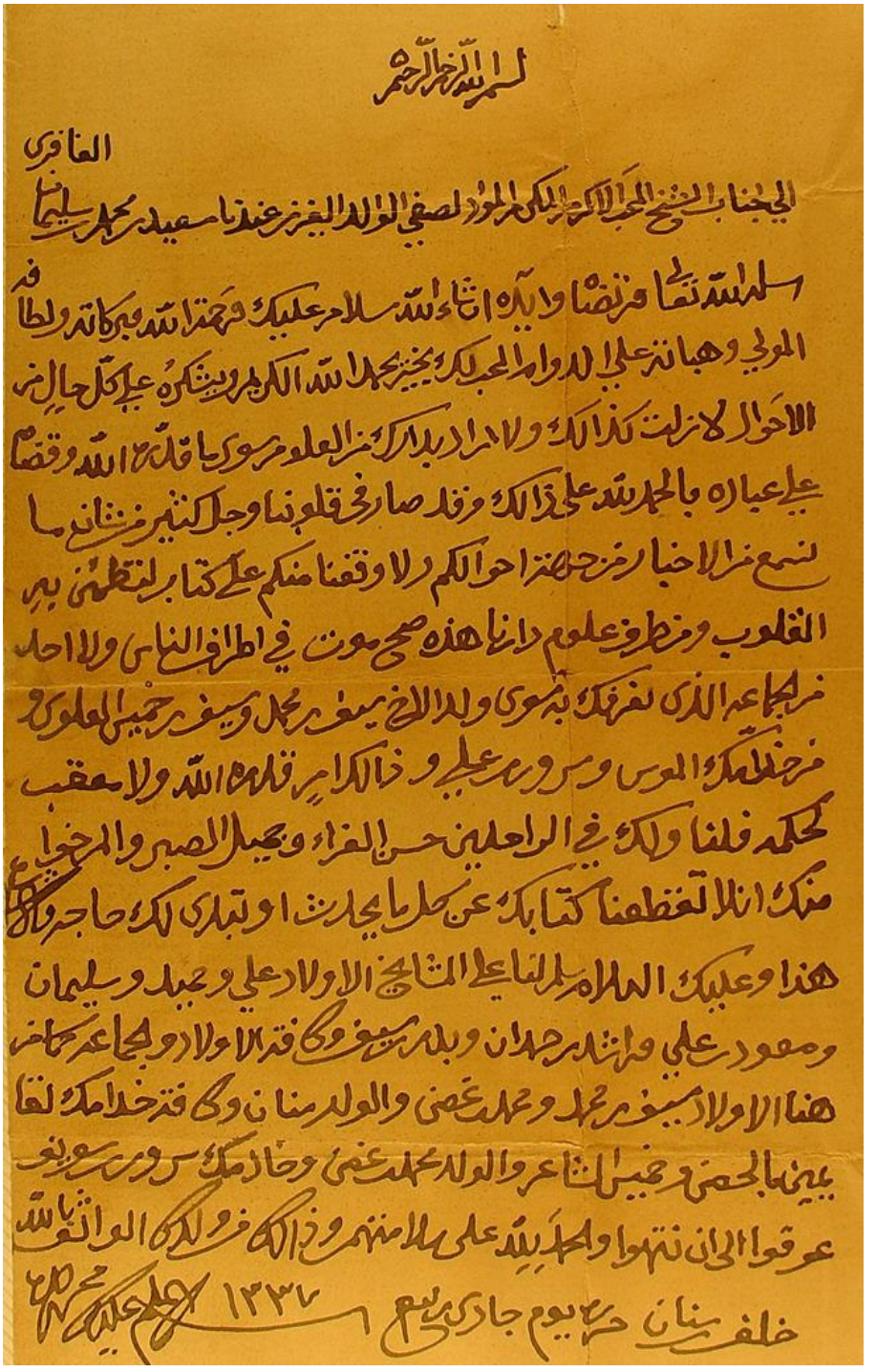

بسم الله الرحمن الرحيم

العافي

الى جناب الفتح المحب الاكرم الكرم المودة لصفي الوالد العزيز عندنا سعيد محمد سليمان

السلام تعالى فرضا وايده ان شاء الله سلام عليك ورحمة الله وبركاته ولطافه
المولى وهبانه على الدوام المحب لك بخير يحمد الله الكريم ويشكره على كل حال ان
الاحوال لا زالت كذالك ولا مراد بدار الا من العلوم مرسوما قدره الله وقضاه
على عباده بالحمد لله على ذالك وقد صار في قلوبنا وجل كثير من شانه ما
نسمع من الاخبار من حضرة احوالكم ولا وقفنا منكم على كتاب لتطمئن به
القلوب ومن طرف علومكم دائما هذه صحيح موت في اطراف الناس ولا احد
من الجماعة الذي نعرفك به سوى ولد الاخ سيف محمد وسيف رحيم العلوي و
من خلامك العوس وسرور علي وذالك امر قدره الله ولا معقب
لحكمه فلنا ولك في الراعلين حسن العزاء وجميل الصبر والمرجو
منك انك لا تغفلنا كتابك عن حل ما يحدث او تبدي لك حاجه وكل
هذا وعليك السلام لنا على المشايخ الاولاد علي وحميد وسليمان
ومسعود علي وراشد حمدان وبلد سيف وكل فقد الاولاد والجماعة حماه
هنا الاولاد سيف محمد وحمد عصفي والولد سنان وكل فقد خدامك لقا
يبينا بالحصن وحميل شاعر والولد محمد عصفي وخادمك سرور سعيد
عرفوا الى ان تنهوا والحمد لله على السلامة وذالك فولكم الواثق بالله

خلف سنان حرر يوم جادي ربيع ١٢٣٧ سلم عليه محمد

والعالق في ذاكرة العمانيين تسمية طاعون عام 1337هـ **برحلة صفر** – كما مر في بعض النصوص السابقة – أو **موتة صفر**؛ لأن عامة وفيات أهل عمان كانت في شهر صفر من تلك السنة[83].

ومما يتصل بذلك: هذا التقييد الذي كتبه سيف بن بدر بن سالم المنذري السليفي: «تاريخ ما قدره الله تعالى من البلاء والرحيل في شهر صفر وأكثره بالنصف منه من شهور سنة 1337هـ، وكانت فيه وفاة الوالدة الشفيقة موزة بنت محمد بن عبد الله بن مسعود العزرية يوم بل ليلة 16 صفر، غفر الله لها جميع ذنوبها بجاه محمد النبي الأمين، رب اغفر لها يا غفور. وتوفيت أيضًا فيه الوالدة أمّ والدي عويشة بنت سيف بن محسن بن عمر المنذرية ليلة 21 صفر، وزوجة والدي العفيفة شيخة بنت سلطان بن حمد العبريّة، وهي والدة الأخ جميل يوم 15 صفر، رحمهم الله أجمعين. آمين يا رب العالمين. كتبه سيف بن بدر بن سالم بيده». (مجموع رقم 3078 في دار المخطوطات).

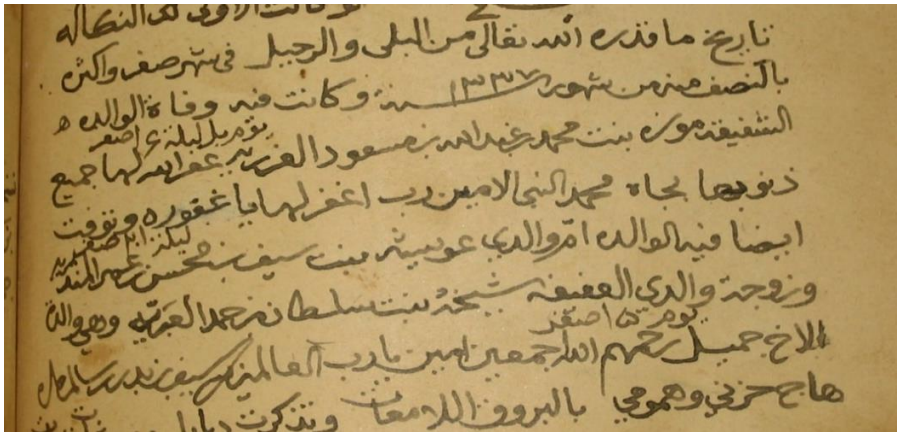

[83] من مباحثة مع الأستاذ: فهد بن سيف الزيدي (جمادى الآخرة 1442 هـ).

ويبدو أن لفحات الوباء ظلت مستمرة بضع سنوات بعد هذه الموجة الأخيرة القاسية. فقد ورد في بعض التقييدات للعمانيين (ضمن مجموع بخزانة القاضي حمود بن عبد الله الراشدي؛ رقم 67): «قد اجتمعت الأمراض في سنة 1340هـ، الطعن والجدري والحصبة والشهاقيّة والحميقا، كتبه سيف بن حمد بن خميس بيده».

- **إجراءات طبية وقائية وعلاجية:**

ومن التقاليد الصحية المأثورة عند العمانيين: اتخاذهم مواضع للحجر خارج البلد يعزلون فيها ذوي الأمراض المعدية، مع أوقاف مخصوصة لهم تُصرف في إعاشتهم وتطبيبهم وعلى من يقف على شؤونهم من مطعم ومشرب وملبس. ومن أمثلتها في ولاية (إبرا): سبلة المجدّر، أي المصابين بالجدري، ويسمى أيضا: بيت المراضى؛ أي: المرضى. بني بجوار مقبرة الصفح في سفالة إبرا، على سفح الجبل القطبي. ومثل هذه المساكن جديرة بدراسة طرازها المعماري، ومعرفة خصائصها ووظائفها.

ويتصل بذلك: دراسة وثائق الأوقاف المتعلقة بالمجدورين والمجذومين وأصحاب العاهات الدائمة، أو ما يُصطلح الآن على تسميته بالأوقاف الصحية، فإن فيها جانبا مشرقا من تاريخ الوقف العماني لم يُدرس دراسة جيدة.

©احمد الطوقي
Ahmed Altoqi

©احمد الطوقي
Ahmed Altoqi

بيت المراضى في إبرا

الصور الأربع بعدسة: أحمد الطوقي

ومن المسائل المتصلة بمرض الجدري عند العمانيين وسبل الوقاية منه: هذه المسألة المأثورة عن الشيخ سعيد بن بشير الصبحي (ت1150هـ) ونصها: «وفيمن عنده ولد جاءه الجدري، أو جاء في بلده، وصار أهل البلد يأخذون من المجدور قشرًا، ويشطبون أولادهم في أبدانهم حتى يخرج الدم، ويضعون في الجرح قشر الجدري؛ لأنهم يقولون إذا فعلوا كذلك يجيء أولادَهم قليلٌ من حب الجدري، أيجوز لمن أراد أن يفعل ذلك لولده على نظر الصلاح؟ أرأيت إذا فعل أحدٌ لولده، وجاءه الجدري كثيرا، ومات الولد، أيلزمه شيء أم لا؟ أو جاءه في عينه وعميت عيناه، أو ضرب الجرحَ الذي جرحه إياه؛ أيلزمه شيء من الديات أو الأرش؟ قال: إني لا أحفظ في هذا شيئا، وأحبُّ إلَيَّ تَرْكُ جميع ذلك، وإنْ فَعَلَ ما ذكرتَه طَلَبَ السلامة والعافية فأرجو أن لا شيء عليه فيما يتولد منه، والله أعلم»[84].

وهذا الصنيع من العمانيين أشبه ما يكون بنظام التطعيم أو التحصين المعروف طبيا اليوم، وتقوم فكرته على إعطاء الشخص طَعْمًا لتكوين مناعة في جسمه ضد مرض معين، ويتكون الطعم من جراثيم المرض الضعيفة، أو أجسامها الميتة، وعند دخولها الجسم فإنها تحفز جهاز المناعة على تكوين أجسام مضادة لذلك المرض، وتمنحه ذاكرة مناعية تساعده على تذكر الميكروب المُمْرِض فتهاجمه وتقضي عليه فورا عندما يدخل الجسم في المرة

---

[84] **قاموس الشريعة** (طبعة الجيل الواعد) ج70/ ص293. وقد دلني – مشكورا – على هذه الفائدة النفيسة الباحث: فهد بن علي السعدي.

اللاحقة[85]. وتاريخ المسألة المنقولة آنفا تدل على استعمال العمانيين للتطعيم منذ أكثر من ثلاثمئة سنة، وهو ما يصطلحون عليه **بالشَّطْب** – كما نصت عليه المسألة – وهذا اصطلاحٌ يرد كثيرا على ألسنة العمانيين في حكاياتهم عن رحلات الحج، إذ ينالون نصيبهم من الشطب أو التطعيم في البندر قبل ركوب السفينة.

والمتأمل في كل ما سبق يدرك أن الطواعين ظاهرة عميقة في حياة الناس، بشتى جوانبها الصحية والاجتماعية والدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية، وما زالت مثار جدل رغم تكرارها زمنا بعد زمن، والجدل حولها يبدأ من تشخيصها ولا ينتهي عند أعراضها وتداعياتها. ودراسة تاريخها ليس لمجرد الدراسة، فهي تجربة إنسانية تقبل الصواب والخطأ.

وللشيخ سيف بن حمد بن شيخان الأغبري (ت1380هـ) خطبة اشتملت على موعظة للناس ودعاء لرفع البلاء (خزانة الشيخ راشد بن سليمان الجهضمي؛ رقم2)، جاء في آخرها بخط ابنه سالم: «إنّ السبب لهذا الدعاء أنه في سنة 1341هـوقع بوادي دَمَا وما حولها طعنٌ شديدٌ مُتْلفٌ، ولبث بها حروة ستة أشهر، ومات منه كثير من الناس من ثلاثمئة إلى أربعمئة، وكان الموت غالبًا في النساء والأطفال، وكان والدي العالم سيف بن حمد الأغبري حينئذٍ بتلك الأطراف، قائمًا بالأمر والنهي وفصل الأحكام

---

[85] **موسوعة صحة الطفل**؛ تأليف: محمد صادق زلزلة. ط1: 1414هـ/ 1994م. دار الجيل- بيروت/ لبنان. 4/ 308.

وإنفاذ الحدود، واليًا للإمام العادل الهمام محمد بن عبد الله الخليلي، فأجرى الله على لسانه هذا الدعاء المبارك، فأمر الناس بالصدقات، ودعاهم إلى الخروج، فصلّى بهم، وقام يخطب بهذا الدعاء، فارتفع الطعن من ساعته، ولم يمت بعد ذلك من الطعن أحد إلا ما شاء الله».

ووقفتُ قبل ذلك على دعاء لتخليص المسلمين من الوباء والأمراض المعدية؛ حرره الشيخ عيسى بن ثاني بن خلفان البكري بيده، عن إملاء الشيخ القاضي حمد بن عبيد السليمي، يوم 22 صفر 1337هـ[86].

ومما ورد فيه: «اللّٰهُمَّ لقد شكى إليك يعقوب فخلصته من حزنه، ورددت إليه بصره، ولقد ناداك نوح من قبل فنجيته من كربه، ولقد ناداك أيوب من بعد فكشفت ما به من ضره، ولقد ناداك يونس فنجيته من غمه، ولقد ناداك زكريا فوهبت له ولدا من صلبه، ولقد علِمْتَ ما نزل بإبراهيم خليلك من نار عدوه فأنقذته منها، وأنجيت لوطا وأهله من العذاب النازل بقومه، وفلقت البحر لموسى فأنجيته وأغرقت عدوه. اللّٰهُمَّ ها نحن عبيدك واقفون بين يديك، لا نملك لأنفسنا ضرا ولا نفعا، اللّٰهُمَّ ارحمنا كما رحمتهم، واستجب لنا كما استجبت لهم، فليس كرمك ولطفك مخصوصا لمن أطاعك وأقبل عليك، بل هو مبذول لمن شئت من خلقك، نسألك اللّٰهُمَّ أن تكشف عنا ما نزل بنا من الأمراض والوباء. ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا

---

[86] وقفتُ له على نسخة مرقونة فقط، وبحثتُ كثيرا عن أصله المخطوط فلم أظفر به إلى الساعة. وقريب من لفظه دعاءٌ مخطوط (ضمن وثائق مكتبة الشيخ سيف بن حمود بن سالم المعولي، بوادي المعاول).

وترحمنا لنكونن من الخاسرين. اللّٰهُمَّ اكشف عنا ما نزل بنا، وفرج عنا كربنا، وادفع عنا ما أهمنا، يا لطيفا بالعباد، يا أرحم الراحمين».

وأجعل هذا الدعاء مسك الختام لهذا المجموع اللطيف. ولله الحمد في المبدأ والمنتهى.